ساسون حسقيل
أشهر وزير في تأريخ الحكومات العراقية

البريد والمواصلات في الموصل في العهد العثماني

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2029) السنة الثامنة

الإثنين (31) كانون الثاني 2011

11

الغناء والموسيقى في بغداد

تنظيم الضباط الأحرار

د. عدنان عزيز
باحث ومؤرخ

عند دراسة حركة الضباط الأحرار داخل الجيش العراقي لا يمكن فصلها عن الواقع السياسي العراقي ، وتأثرها بالمشاكل والأوضاع السيئة التي كان يعاني منها الشعب العراقي لان أفراد الجيش هم من أبناء هذا الشعب ومن طبقاته المختلفة ، لذا فانهم يحسون بهذه المشاكل والأوضاع المتردية بكل تفاصيلها ، من هنا شعر الضباط في الجيش بمسؤوليتهم تجاه وطنهم وشعبهم وضرورة تنظيم أنفسهم للعمل على التخلص من الزمرة الحاكمة التي طالما أرهقت كاهل الشعب بمتطلباتها ورفاهيتها على حساب آلامه واحزانه .

وقد بدأت عوامل عديدة تؤدي دورها في جر الجيش إلى معترك الحياة السياسية منها الحرب العراقية – البريطانية عام ١٩٤١ وإعدام ضباط حركة مايس عام ١٩٤١ ، كما أن هزيمة العرب في حرب ١٩٤٨ اسهمت في تصعيد المد الوطني بين صفوف الضباط في الجيش العراقي ، ثم جاءت ثورة (٢٣ تموز ١٩٥٢) في مصر بقيادة تنظيم الضباط الأحرار المصري لتكون الحافز الكبير الذي اسهم في رفع الخوف والتردد من نفوس الضباط العراقيين ثم كانت انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ التي أكدت ضرورة إيجاد الحكم الصالح الذي يحقق مطالب الشعب العراقي بالحرية والحياة الحرة الكريمة والتخلص من نظام عبد الإله ونوري السعيد الممثل للمصالحالاستعمارية الأجنبية .

لقد ادت عوامل ودوافع عديدة دورها في جعل بعض الضباط يفكرون في تأسيس تنظيم عسكري لإسقاط النظام الملكي وأهمها :-

١.طموح هؤلاء الضباط إلى الإصلاح والنهوض بالبلاد وتخليصها من أوضاعها المتردية وتحقيق إصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي وللوصول إلى هذه الأفكار يجب الوصول إلى الحكم ولا يكون ذلك إلا بالثورة المسلحة ، كما أن استخدام السلطات الحاكمة للجيش قوة مساندة للشرطة لقمع الانتفاضات الوطنية أدى إلى سخط أفراد الجيش ، ويقينهم أن الأحزاب والعمال والفلاحين والطلاب لا يستطيعون التخلص من هذا الحكم بالطرق السلمية ، إلا أن انتفاضات العمال والفلاحين والطلاب هي التي مهدت الطريق لعمل الضباط الأحرار وسهلت عمل الجيش للثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ وهذا واضح في البيان الأول للثورة.

٢.موقف الحكومة العراقية من حرب فلسطين والتوقف المستغرب لعمليات القوات العراقية في فترة حرجة من فترات الحرب اثر بشكل كبير في معنويات الضباط العراقيين ، وكشف لهم تآمر العائلة الهاشمية ضد القضية العربية.

٣.تشبع اكثر الضباط العراقيين بالروح ورغبتهم في تحقيق الاستقلال وسخطهم من موقف الحكومة العراقية من العدوان الثلاثي على مصر في أزمة السويس ١٩٥٦ ، حيث رأوا فيه مساسا لكرامتهم ، كما أن معارضة الضباط لحلف بغداد ١٩٥٥ الذي حول العراق كله إلى قاعدة جوية بريطانية ، وكبل العراق بالقيود الاستعمارية يمكن أن تضاف دافعا قويا لقيام الضباط بثورتهم، لان هذا الحلف أقام ارتباطا وثيقا للعراق بسياسات الغرب عازلا إياه بشكل متعمد عن بقية العالم العربي ، ثم جاء الاتحاد مع الأردن في عام ١٩٥٨، الرد الهاشمي على تأسيس الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا ومصر فلم يزد ذلك إلا من حدة الاستياء بسبب الأعباء المالية المترتبة على العراق لدعم الجيش الأردني لا لشئ إلا لمصلحة الأسرة الحاكمة.

هذه العوامل وغيرها من عوامل وأسباب كثيرة أسهمت في دفع الضباط إلى تنظيم أنفسهم وبناء قاعدة تنظيمية لعملهم لذا بدأت تظهر اجتماعات بين الضباط ثنائية وثلاثية وغيرها مما شكل خلايا تنظيمية داخل الجيش تعقد اجتماعات منتظمة لدراسة إمكانية القيام بالثورة ، أن جماعة رفعت الحاج سري أثبتت وجودها في أيلول ١٩٥٢ ، وكانت اكثر الجماعات تنظيما وسعه في اتصالاتها مع الضباط الشباب في الجيش، وكان هدف هذه الخلايا هو قلب نظام الحكم الملكي في العراق وإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد.

وكانت هذه الخلية تعمل على التشديد في اختيار الضباط للعمل حيث يتم ترشيح عدد من الضباط من مختلف الرتب والصنوف ممن تتوفر فيهم الكفاءة والإخلاص وتتم مفاتحتهم بحذر شديد ، وكان نظام العمل على أساس الخلايا ولم تكن للتنظيم هيأة أو خلية عليا تسيطر على إدارته وكان هدف التنظيم ضم اكبر عدد من الضباط إليه ولاسيما قادة الفرق والوحدات الفعالة الضاربة ، ولم توضع قواعد عامة لانتماء الضباط وان كانت هناك أهداف وطنية عامة يشترك فيها الضباط .

في حزيران ١٩٥٦ بدأ الضباط يجمعون صفوفهم ويعدون العدة لنشاطهم الثوري ، وانتظم بعضهم في وحدات صغيرة وكانت كل جماعة تلتف حول أحد الضباط الشباب ، واهم هذه الوحدات كانت الوحدة التي أصبحت فيما بعد نواة المنظمة المركزية التي كانت تعرف بمنظمة بغداد بقيادة محيي الدين عبد الحميد والتي كان رجب عبد المجيد يدير اجتماعاتها وينظم نشاطها فضلا عن توليه أمانة سرها ، وتأسست منظمة أخرى بقيادة عبد الكريم قاسم في المنصور (إحدى ضواحي بغداد) ، والتي اندمجت مع منظمة بغداد ، وانتشرت الخلايا والتنظيمات في أنحاء مختلفة من القطر.

وفي كانون الأول ١٩٥٦ عقد اجتماع مهم في دار الرائد الطيار المتقاعد محمد سبع البياتي في الاعظمية ، تقرر فيه تشكيل لجنه عليا للتنظيم تضم (رجب عبد المجيد ، ناجي طالب ، محسن حسين الحبيب ، محيي الدين عبد الحميد ، صبيح غالب ، وصفي طاهر ، عبد الكريم فرحان ، ومحمد سبع) وفي نيسان ١٩٥٧ اتفق الضباط على ضم عبد الكريم قاسم وبعد أسبوعين جاء مع عبد الكريم قاسم ، عبد السلام عارف إلى اجتماع اللجنة ورشحه للعضوية ، مما دفع اللجنة إلى قبول عضويته مرغمة حفاظا على سرية العمل ، وكان آخر من انضم عبد الوهاب الشواف في أواسط آيار ١٩٥٨ واصبح عدد أعضاء اللجنة خمسة عشر (بضمنهم رفعت الحاج سري) ، وأدى أعضاء اللجنة يمين الولاء والإخلاص للتنظيم والوطن وسرية العمل، وكان محيي الدين عبد الحميد يرأس الاجتماعات لانه أعلى رتبه من الباقين (عميد) ، ولكن بعد انضمام عبد الكريم قاسم صار هو الذي يرأس الاجتماعات كما ترأس اللجنة العليا لانه الوحيد من بين أعضائها الذي يحمل رتبة زعيم (أعلى رتبة للضباط القادة).

جـ :- الاتصال بين الضباط الأحرار وجبهة الاتحاد الوطني

كان الضباط الأحرار يختلفون عن أقرانهم من المدنيين في الانتماء إلى عقائد سياسية معينة (أحزاب) ، بل كانوا مختلفين في آرائهم السياسية فيما بينهم ، وبعضهم أمثال عبد الكريم قاسم ومحيي الدين عبد الحميد كانا قد تأثرا بالأفكار السياسية الليبرالية ، كما كانا يدعوان إلى انتهاج سياسة وطنية معتدلة ، وقد أشار البعض إلى أن عبد الكريم قاسم كان من المتأثرين بأفكار (جماعة الأهالي) ، وبمواقف (الحزب الوطني الديمقراطي) وارائه في المرحلة الأخيرة من العهد الملكي .

أما الآخرون أمثال عبد السلام عارف ورفعت الحاج سري فكانوا يتمسكون بفكرة الوحدة العربية الشاملة ، كما أنهم كانوا يدعون إلى الانضمام إلى الأقطار العربية ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة ، أما النظم السياسية الداخلية فأنها لم تستأثر باهتمامهم كثيراً ، كما كان هناك ضباط أمثال وصفي طاهر و إسماعيل علي يتعاطفون مع الحزب الشيوعي، لذا فأن هؤلاء القادة العسكريين عندما شكلوا خلاياهم السرية بدأوا بأقامة اتصالات مع الزعماء السياسيين الذين يتعاطفون معهم في أفكارهم .

فمثلاً جرى اتصال مع صديق شنشل الأمين العام لحزب الاستقلال حيث اتصل به رفعت الحاج سري في أوائل ١٩٥٣ ، لكن لعدم ثقة صديق شنشل بإمكانيات رفعت الحاج سري القيادية فأنه لم يوافق على المشاركة معه في حالة قيام الجيش بثورة ، ثم اتصل

عبد السلام عارف

وصفي طاهر

رفعت الحاج سري بفائق السامرائي (نائب رئيس حزب الاستقلال) الذي قبل أن يكون مستشارا له ، وكان صلة الوصل بين العسكريين والمدنيين لمنع الاشتباه هو رجب عبد المجيد واستمر بعمله هذا حتى بعد حل خلية رفعت الحاج سري ، وكان محمد مهدي كبة زعيم حزب الاستقلال قد أجرى اتصالات مع بعض الضباط الأحرار بوساطة شمس الدين علي (وهو ضابط صغير وعضو في خلية يتزعمها عبد الوهاب أمين.

وأقام عبد الكريم قاسم اتصالاً سرياً مع قادة " الحزب الوطني الديمقراطي " عن طريق صديقه رشيد مطلك، وقد جرى أول اتصال بين سكرتير عام الحزب حسين جميل مع رشيد مطلك في عام ١٩٥٦ عارضاً عليه رغبة عبد الكريم قاسم في التعاون مع تنظيم جديد داخل الجيش هو (تنظيم الضباط الأحرار) ، ويذكر حسين جميل بأنه أوضح (للرسول) بأن الانقلاب قد يذهب بأوضاع تشكو منها البلاد ولكنه يأتي بأوضاع هي ضد الحريات والحكم الديمقراطي ، أي انه يأتي بحكم عسكري من الصعب جداً على القوى الوطنية أن تجد مجالات العمل السياسي في ظله وتصحيحه ، ولجماعة الأهالي تجربة مرة في هذا الشان ، وقد أيد كامل الجادرجي موقف حسين جميل لكنه طلب منه عدم قطع الاتصال مع الضباط الأحرار.

وطلب إلى حسين جميل إبلاغ كامل الجادرجي رغبة الضباط الأحرار بمشاركته في الحكم بعد نجاح الثورة ، إلا أنه رفض التعاون معهم واكتفى بتأييدهم فقط، ويذكر د . مجيد خدوري أن عبد الكريم قاسم كان يفضل وبموافقة الجادرجي أن يكون محمد حديد نائب رئيس الحزب ، مستشارهم ، لكي يبعد عن زعيم الحزب مهمة ربط الحزب بحركة عسكرية ، وبقي محمد حديد مدة سنتين على اتصال مستمر مع عبد الكريم قاسم ، كما كان يطلع كامل الجادرجي (الذي كان في السجن مدة سنة قبل الثورة) على اتصال بنشاطات حركة الضباط الأحرار.

هذه الاتصالات المستمرة بين المدنيين والعسكريين الأحرار اسهمت في تقوية التقارب بين المدنيين والعسكريين وتوحيد أهدافهم في اتجاه الثورة ، حيث أن الزعماء الوطنيين يعدون الجيش هو الجناح العسكري للتنظيمات المدنية ، كما أن الجيش يعد الأحزاب القاعدة الجماهيرية الشعبية له والتي تسنده عند قيام الثورة وتنفيذها.

ويذكر د . فاضل حسين أن رشيد مطلك زار في صيف عام ١٩٥٦ عامر عبد الله عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي السري مرسلاً من عبد الكريم قاسم ،

نجيب الربيعي

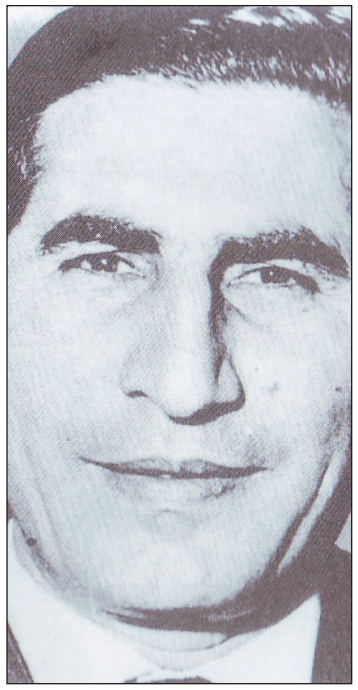
ناجي طالب

واوضح له نية عبد الكريم قاسم والضباط الأحرار في الإطاحة بنظام الحكم عن طريق حركة عسكرية وطلب رأي الحزب الشيوعي في مبادئ الخطة ودور الحزب لدعم الثورة ، وقد قام عامر عبد الله باطلاع سلام عادل سكرتير الحزب الشيوعي على الرسالة التي أرسلها إلى عبد الكريم قاسم (التي تتضمن بعض الأفكار والشروط الأساسية لتأمين نجاح الثورة وغيرها من الأمور) ، بأسمه فأقرها ، وذكر سلام عادل أنه يسعى من جانبه إلى إقامة صلة بجبهة عسكرية ، وفي لقاء ثان ذكر رشيد مطلك أن عبد الكريم قاسم يطلب أن يبادر الحزب الشيوعي إلى تعبئة الجماهير في مظاهرات إسناد واسعة حالما تبدأ الثورة ، وطلب عبد الكريم قاسم من الحزب أن يتولى وضع التدابير الخاصة بالشؤون الاقتصادية بعدها خارجة عن اختصاص العسكريين ، كما طلب عبد الكريم قاسم من الحزب الشيوعي أن يسعى إلى تأمين الدعم من الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية للثورة في العراق.

ومن خلال تعاون جبهة الاتحاد الوطني مع تنظيم الضباط الأحرار تمكن هؤلاء الضباط من الاتصال بجهات مختلفة في سبيل الحصول على الدعم منها عند قيام الثورة مثلما تم اتصال مع جمال عبد الناصر ، عن طريق تكليف حسين جميل بهذه المهمة من عبد الكريم قاسم في منتصف تموز ١٩٥٦ عند حضور حسين جميل اجتماع مؤتمر الخريجين العرب ، حيث طلب من الأخير مقابلة جمال عبد الناصر واطلاعه على كيفية إسقاط تنظيم الضباط الأحرار بزعامة عبد الكريم قاسم للنظام الملكي وفي حالة نجاح الثورة هل هناك احتمال أي تدخل أجنبي ضد الثورة وما هو موقفه منها؟ وكان رد جمال عبد الناصر إنه عند قيام الثورة سوف لا يحدث أي تدخل أجنبي لان الدول الغربية لديها مصالح أهم تحافظ عليها من بقاء نظام أو انهياره وهي النفط واستخدام القواعد العسكرية والموانيء لذلك فأن هذه الدول سوف تهادن النظام الجديد وتعمل على احتوائه.

لذا فأن الضباط الأحرار حاولوا من خلال اتصالاتهم بالزعماء المدنيين ولاسيما من حزبي (الوطني الديمقراطي والاستقلال) الاستفادة منهم لمعرفة موقف الجمهورية العربية المتحدة من الثورة، ومقدار المعونة والدعم اللذين ممكن أن تقدمهما للثورة عند قيامها ، كما حاولوا الاستفادة من خبرة رجال الجبهة السياسية والاقتصادية والقانونية واستشارتهم في كثير من الأمور التي يمكن أن تنشأ بعد قيام الثورة ، فقد تمت استشارة محمد حديد في عدة مسائل تتعلق بالقضايا المالية وكيفية معالجة المشاكل التي يمكن أن تثيرها الدول الغربية واستشارته حول الخطة المالية للحكومة بعد الثورة بما يضمن سلامة الوضع الاقتصادي وكذلك فيما يتعلق بقضية النفط.

مما تقدم تظهر لنا حاجة التنظيم العسكري إلى دعم مدني من الأحزاب السياسية والتيارات الوطنية عند قيام الثورة لأنه لا يمكن أن يتولى القادة العسكريون جميع المناصب الوزارية في الحكومة الجديدة لأن الوزارات تحتاج إلى خبرة وكفاءة في إدارة أمورها ، ولاسيما بعد حدوث تغيير جذري في نظام الحكم من ملكي إلى جمهوري ثوري يسعى إلى التغيير السريع في الميادين كافة.

لذا لا يمكن النظر إلى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حدث مفاجئاً في حياة وتاريخ العراق الحديث لأنها تمثل الذروة في النضال الجماهيري ولان الجيش هو جزء من هذا الشعب ، فقد تأكد لدى الضباط الأحرار انه لا يمكن للعمل الشعبي فقط أن يحقق الخلاص من النظام الملكي بل يجب القيام بمبادرة عسكرية لقلب نظام الحكم .

عبد الرحمن عارف

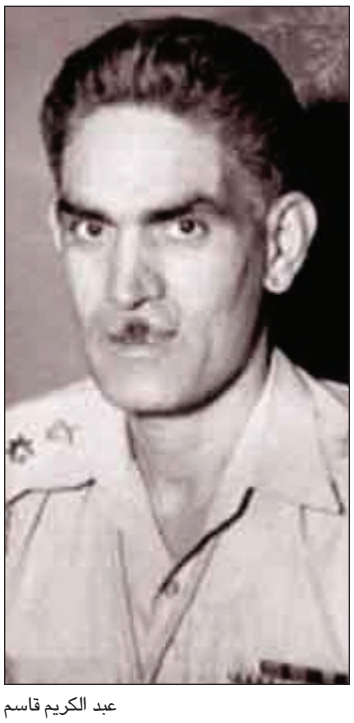
عبد الكريم قاسم

المدارس الصناعية.. من أوجه النهضة الصناعية في العهد الملكي

مجيد اللامي

تقاسُ الشعوب وقوتها بما بلغته الصناعة فيها من نمو وازدهار ومرد هذه الحقيقة إلى أن الصناعة هي دعامة كل نهضة اقتصادية في كل الدول ولذا كانت الدول الصناعية منذ قيام الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر هي صاحبة الغلبة والنفوذ في المجال الدولي وهذا ما حدا بالمخلصين أن يكرسوا الجهود لتدعيم النهضة الصناعية في العراق.

فأسست المدارس الصناعية بأقسامها المختلفة من قبل وزارة المعارف حيث يسر الناظر أن يشاهد الطلبة وهم بملابس العمل منهمكين بالتدريب وقد تلطخت أيديهم بالمواد والدهون، ويقبل في هذه المدارس الطلاب من خريجي الدراسة الابتدائية الذين لا يقل عمرهم عن ١٤ سنة ولا يزيد عن ١٦ سنة وان يكون الطالب سليما من الأمراض والعاهات وحسن السلوك والسمعة وعراقي الجنسية ومدة الدراسة خمس سنوات وتعتبر شهاداتها معادلة لشهادة الدراسة الثانوية لغرض قانون الخدمة المدنية وقانون الخدمة العسكرية. ويبدأ التخصص في العمل من ابتداء السنة الثانية ومواضيع الاختصاص هي: الكهرباء والسيارات والخراطة والبرادة والنجارة والمعادن والحدادة والسباكة واللحام بالكهرباء.

يشرف على تعليم هذه المهن نظريا وعمليا مدرسون فنيون..

والدراسة في هذه المدارس مجانية وتوجد أقسام داخلية خاصة للطلاب تنفق عليها وزارة المعارف وقد تخرج منها طلاب عملوا في مصفى النفط الحكومي في الدورة وفي شركة نفط خانقين وفي البلديات وفي مديرية الموانئ العامة وأرسل طلاب منهم إلى فرنسا على نفقة وزارة الإعمار للتخصص في تشغيل معامل النسيج..

ووزارة المعارف لا تضمن تعيين المتخرجين إلا أنها تسعى لإيجاد مجالات العمل لهم ويمنح المتخرجون شهادة إكمال الدراسة الصناعية ذات السنوات الخمس وقد سمحت الشركات الحكومية لطلاب هذه المدارس بالتدريب العملي في معاملها أثناء العطل الصيفية..

ثم أن مديرية التعليم الصناعي جادة في تهيئة شباب مثقف بالثقافة العملية ليكونوا نواة للمصانع التي ستقوم بإنشائها وزارة الإعمار في العراق.

ذكريات عن الحياة الصحفية للمرحوم رفائيل بطي

سليم البصون

×رفائيل بلا"واو".. والجمع المذكر السالم أفضل من التكسير!،
×حين تغنى رفائيل بطي بعفيفة اسكندر ونشر صورتها.
×الطريقة الغريبة التي كان يتبعها للاستغناء عن المحررين.

*رفائيل الصحفي

كان المرحوم الأستاذ رفائيل بطي علما بارزا من إعلام الصحافة والأدب في العراق العزيز، وقد امتدت به الشهرة في هذين الميدانين المتلازمين إلى إرجاء بعيدة من الوطن العربي الكبير.
وجميل في عيد الصحافة العراقية أن أتطرق إلى جوانب عديدة من الذكريات الطريفة عن هذا الصحفي والأديب البارز، فحياته الصحفية والأدبية والسياسية معروفة لكثيرين ، وأصبح ماله وما عليه فيها في ذمة التاريخ، على أن جوانب من حياته وشؤونه الخاصة في ميدانه الصحفي قد لا يعرفه إلا القلة من المحيطين به.

* رفائيل وليس روفائيل !

كان المرحوم رفائيل بطي يكتب اسمه "رفائيل" وليس "روفائيل" بزيادة "واو" ويريد من سواه أن يكتبه أيضا. وقد كان يغتاظ إذا ظهر اسمه بزيادة "الواو" ويعتبر ذلك من الأخطاء الشائكة الفاحشة.
وكما كان المرحوم يعتبر كتابة اسم رفائيل "بالواو" الزائدة خطأ فقد كانت جموع وصيغ لغوية غير قليلة يعتبرها خطأ إن لم تكتب على الوجه الصحيح الذي يراه هو، وقد شاركه آخرون أيضا في ذلك الوجه. ومن ذلك كلمة "المدير" فهو يجمعه "المديرون" وليس المدراء و"الكاتب" ويجمعه "الكاتبون" وليس "الكتاب" بل انه كثيرا ما يفضل الجمع المذكر السالم على جمع التكسير حتى بالنسبة للجموع الصحيحة!..

*سينما الحياة

في السنوات الأخيرة من حياته افرد المرحوم "رفائيل بطي" بابا

رفائيل بطي

خاصا في جريدته "البلاد" تحت عنوان "سينما الحياة" يكتب فيه بتوقيع "راء". وكان الباب يتضمن ثلاث مقطوعات بطريقة كلاسيكية روتينية لا تتغير، أولاها سياسية وثانيتها اقتصادية وثالثتها أدبية، كان في الأولى يتحدث عن نبأ أو رأي سياسي وفي الثانية عن خبر أو رأي اقتصادي، وفي الثالثة عن لقطة أو نقد أو وجهة نظر أدبية، وكان المرحوم في نقد انه وخاز نغاز لماز ، لا يشتم شتما مكشوفا وإنما يوخز وخزا عميقا .

×إعجاب بعفيفة اسكندر !!

كان الأستاذ رفائيل بطي حاضرا في إحدى الليالي حفلة احد الذوات المسؤولين والسياسيين التقليديين. وكان بين حضور الحفلة وغنت فيها. الفنانة المعروفة عفيفة اسكندر.. وقد أعجب الأستاذ أيما إعجاب بمجلسها وحديثها كما أعجب بأغانيها. وبجمالها أيضا . وقد حضر إلى مكتب الجريدة في الصباح التالي وحدثني بأمر هذه الحفلة وإعجابه بعفيفة اسكندر وطلب إلي أن احصل له على صورة لها لنشرها في الجريدة.
وقد اتصلت بالزميل والصديق الكريم الأستاذ صادق الأزدي صاحب مجلة "قرندل " آنذاك وطلبت إليه أن يزودني بصورة عفيفة باعتبار أن الصديق صادق كان له أرشيف من الكلائش للصور السياسية والأدبية والفنية أفضل من أية صحيفة في ذلك الوقت وفعلا زودني الأزدي بثلاث صور من احدث صور عفيفة لم تنشر من قبل.
وقد اختار الأستاذ رفائيل أحداها وصنفا لها لكليشهة وظهرت في اليوم الثاني مطبوعة في باب "سينما الحياة" مع تعليق لطيف كتبه الأستاذ بنفسه تغنى فيه بالفنانة معجبا ومشيدا بها.
وهذه هي المرة الأولى والأخيرة التي نشر فيها المرحوم رفائيل بطي صورة لفنانة عراقية أثناء اشتغالي معه . . والمقصود بالفن هنا شقى الغناء والرقص فقط.

*طريقة للاستغناء

كان للمرحوم رفائيل بطي طريقة غريبة في الاستغناء عن المحرر الذي لا يرغب في استمراره على العمل ، فعندما يعتزم الاستغناء عنه يبدأ بتقريبه منه وأزجاله النصائح له في حياته الصحفية ، وحين تزف لحظة الاستغناء يدعوه إلى مكتبه ويطلب إليه "الشاي"ان كان الوقت شتاء "والبارد" إن كان الوقت صيفا ثم يحدثه عن الصحافة وهي مهنة البحث عن المتاعب ويتوجه إليه بما يرسم خطوط واضحة في قابل أيامه ثم يحدثه عن جريدته ووضعها المالي وان له أن يعمل في أي صحيفة تبرز مواهبه ، ثم يبلغ الأستاذ محرره النبأ الخطير ، نبأ الاستغناء عنه !. فحين كان المرحوم يستدعي احد المحررين إلى غرفته ويرفق الاستدعاء بالنداء على "الشاي" أو "البارد" له كان بقية المحررين يعرفون أن المحرر المذكور سيترك مكتب صاحب الجريدة ليودعهم !..على أن من الضرورة بمكان أن اذكر أن المرحوم رفائيل بطي ما كان يستغني عن المحرر أو المخبر الذي يستفيد منه بهذه السهولة، وإنما يكون استغناؤه عن القاصر أو الذي تنتفي الحاجة إليه أو يأتي عملا يراه هو مبررا للاستغناء عنه، على ان المرحوم كثيرا ما احتفظ بمحررين ومخبرين ظلوا يعملون معه سنين طويلة ، لم تفرق بينهم أسباب العمل ، وإنما حوادث الأيام !.

الأدب العصري في العراق العربي
تأليف
رفائيل بطي

*منهاج يومي

كان للمرحوم منهاج يومي يسير عليه وينفذ مواده. فحين يعود إلى داره ليلا ويركن إلى مكتبه أو يجنح إلى الراحة، يكتب على شريحة ورق أو أكثر النقاط التي تؤلف منهاجه اليومي ويضيف عليها في صبيحة اليوم نفسه ما يخطر بباله أو ما يريد أن ينجزه من أعمال.
فيذكر انه سيزور الوزير الفلاني ثم يقصد إلى المكتبة الفلانية ثم يجتمع بفلان ويتصل تلفونيا بعلان ثم يكتب المقال أو "اللقطة" الفلانية، أو يلاحق الخبر أو الإشاعة الفلانية، في غضون ذلك يتصل من داره بإدارة الجريدة لكي يستوضح ويطلع، وبين الساعة العاشرة أو الحادية عشرة يبدأ دوامه في مكتبه، ثم يشرع في كتابة بعض ما حصل عليه من إخبار محلية مما يسمى بأخبار الدرجة الأولى وبعض ما يعن له من أراء وأفكار أما المقالة أو الآراء.
إذا كان لديه ما يريد أن يكتبه منها . فكثيرا ما يكون وقت الكتابة لها دوامه في المساء!..

*المنهاج الذي ينفذه

على ان المنهج اليومي الوحيد الذي لم ينفذه ، هو المنهاج الذي ظل في جيبه ، حين شعر صباح ١٠ نيسان ١٩٥٦ بضيق وألم. وكان لا يشكو من شيء في الليل الفائت . ثم اتصلت السيدة عقيلته . التي انتقلت إلى جوار ربها قبل بضعة أشهر . بالجريدة تبلغ من فيها بأنها غير مرتاحة إلى حالة الأستاذ وما ان كانت الساعة العاشرة حتى صعد " أبو بديع" إلى الطابق الثاني وارتاح إلى فراشه ، ثم كانت راحة أبدية ، هرع بعدها الناس إلى الدار ليشاركوا في تشييعه . رحمه الله

نشرت في ملحق جريدة "كل شيء" بغداد

الزعيم يجتمع بوزير خارجيتنا يتحدث عن نتائج مؤتمر
البلاد
جريدة يومية سياسية
الزعيم الامين يجتمع الى وفد شركات النفط سبع ساعات ونصفا
الكشاف قنابل اخرى لم تنفجر
حسين يتهم حكام العربية المتحدة بتدبير
عبدالقادر حاتم ينفي اتهامات الصحف التونسية تتهم العربية المتحدة بتدبير

ائتلاف حزب الاستقلال ونوري السعيد دفع صحيفة اليقظة الى التخلي عن حيادها

صلاح الدين سلمان جعفر

عبد الإله

نوري السعيد

صالح جبر

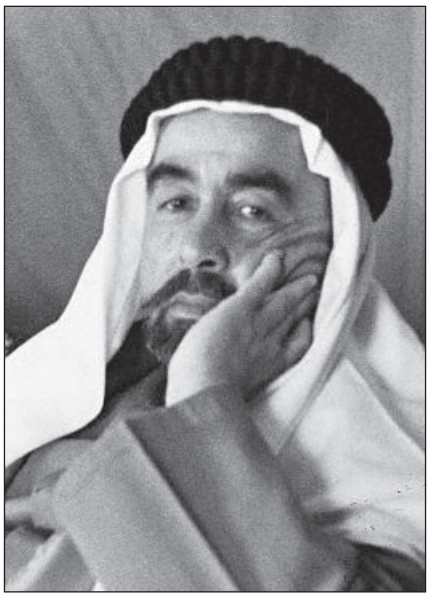
عبد الله

إنّ مشاركة بعض اليهود في النضال العراقي من اجل نيل حقوق ديمقراطية واستقلال وطني يدل على نهاية الإحجام اليهودي عن الاشتراك في الحياة السياسية العراقية.

إلا أن المواقف الرجعية للأنظمة العربية التي تخضع إلى حد كبير للنفوذ الاستعماري، كانت تخدم فعليا القضية الصهيونية بمضايقتها واضطهادها للقوى الديمقراطية.

وقد أوضحت انتفاضة الوثبة في شباط ١٩٤٨ التي أسقطت حكومة صالح جبر قبل ثلاثة أشهر من قيام دولة إسرائيل، جسامة الصعوبات السياسية التي تواجه الطبقة الحاكمة وعرضت استقرارها السياسي إلى الخطر.

إن إعلان دولة إسرائيل لم يربك المشهد السياسي فحسب بل صرف الانتباه عن المسائل الوطنية المحلية.

وقد استغلت الطبقات الحاكمة هذا الواقع استغلالا كاملا ليس في العراق فحسب بل في الدول العربية المجاورة أيضا.

حيث تم فرض الأحكام العرفية في الدول الأعضاء في الجامعة العربية لتمكين الحكومات من قمع المعارضة الداخلية المتزايدة.

وبعد الإخفاق العربي في فلسطين، شكل نوري السعيد رئيس الوزراء ائتلافا مع حزب الاستقلال، وقد وجد كلا الشريكين في الصهيونية نتاجا للشيوعية وكان كلاهما (الاستقلال والسعيد) أكثر استعدادا للتعامل مع وضع اليهود العراقيين في سياق الأعمال العدائية في فلسطين.

فقد سارعت صحيفة اليقظة التي تعكس وجهة نظر حزب الاستقلال الى التخلي عن الموقف المتسامح الذي كان قد اتخذته حيال اليهود خلال الوثبة وشرعت بمهاجمة ما أسمته الاشرار الثلاثة (الشيوعيين، الصهاينة، واليهود) عدد ٣ ايار ١٩٤٨.

ووجهت نقداً الى الذين يحاولون التمييز بين الصهيونية والشيوعية بالعدد المذكور نفسه.

وفي عدد ٢٣، ٢٤ أيار ١٩٤٨ وصفت اليقظة إسرائيل (بالمؤامرة الشيوعية ضد العرب). ورحبت اليقظة في ١٦/٥/١٩٤٨ بفرض الأحكام العرفية وبوصفها إجراءً ضروريا للقضاء على الطابور الخامس للعدو داخل العراق.

ومع مغادرة القوات العراقية إلى فلسطين قدمت صحيفة اليقظة إلى قرائها تقارير عن سلسلة الانتصارات من الجبهة.

وحال ظهور حقيقة عجز الجيوش العربية صبت الصحيفة جم غضبها على اليهود العراقيين.

ففي زاوية المحرر اليومية، حث سلمان الصفواني على مقاطعة متاجر اليهود العراقيين وكتب في ٢٣/٥/١٩٤٨ قائلا (دعونا نحرر شعبنا من الرق والهيمنة الاقتصادية التي تمارسها الأقلية اليهودية).

وحين تقهقرت القوات العربية على امتداد خطوط التقسيم التي فرضتها الأمم المتحدة وقيام القوات الصهيونية باحتلال المزيد من الأراضي حث الصفواني العرب على اتخاذ إجراء بحق الجاليات اليهودية بدلا من التصدي للقوات الصهيونية قائلا: (العين بالعين والسن بالسن والبادئ اظلم).

إن المواقف المتطرفة لصحيفة اليقظة أسهمت في إرباك الرأي العام في العراق.

على الضد من صحف وطنية أخرى كصوت الأهالي الناطقة بلسان الحزب الوطني الديمقراطي وصحيفة الوطن وعدد من الصحف الليبرالية الأخرى التي كانت لا تشاطر صحيفة اليقظة موقفها المعادي لليهود العراقيين وهي الجالية التي ظلت عصبة على المنظمات الصهيونية من ان تستغلها لمآربها الاستيطانية الاستعمارية.

ان طبيعة المشاركة العراقية بالمجهود الحربي في فلسطين كانت قد تحددت قبل ثلاثة أسابيع من إعلان قيام دويلة إسرائيل في اجتماع عقد في عمان بين الوصي العراقي عبد الاله وملك الأردن عبد الله ورأى السفير البريطاني في بغداد أن المشاركة العراقية المحدودة هي بادرة رمزية كان الوصي مستعدا لاتخاذها لمواجهة الضغط الداخلي المتصاعد.

ولم يمض وقت طويل على الهزيمة في فلسطين ولتهدئة الغضب الشعبي في الداخل طلبت السلطات العراقية مساعدة الاميركان والبريطانيين من خلال ملك الأردن عبد الله وكان المطلوب إيجاد صيغة لحفظ ماء الوجه تمكنهم من سحب القوات العراقية من الجبهة.

اليقظة
عواصف اليقظة
(١)
أيها المسلمون
شذرات

على الضد من صحف وطنية أخرى كصوت الأهالي الناطقة بلسان الحزب الوطني الديمقراطي وصحيفة الوطن وعدد من الصحف الليبرالية الأخرى التي كانت لا تشاطر صحيفة اليقظة موقفها المعادي لليهود العراقيين وهي الجالية التي ظلت عصبة على المنظمات الصهيونية من ان تستغلها لمآربها الاستيطانية الاستعمارية.

البريد والمواصلات في الموصل في العهد العثماني

د. سندس السامرائي

اعتمدت الدولة العثمانية في نظامها البريدي على وسائل مواصلات بسيطة متمثلة باستخدام (الحمام الزاجل)، فضلا عن استخدام سعاة البريد والذين يسمون بـ اللغة التركية (الطاطارية – التاتارية)، إذ تتحد مهامهم بنقل البريد من مصادره إلى الدوائر المعنية بالأوامر والتعليمات، واستخدام أولئك السعاة الجمال، التي تتحمل قطع المسافات الطويلة في البراري التي تمتد قرابة ١٢ يوما.

وتطور النظام البريدي للدولة العثمانية، إذ أسست مصلحة البريد المركزية في عام ١٨٤٠، ما انعكس إيجابيا على سرعة إيصال البريد واتخاذ الإجراءات اللازمة على ضوئه، وفي أثر ذلك أنشئت في الموصل دائرة البريد في عام ١٨٧٨م، وحملت الموصل رقمها البريدي (٣٦٧)، فضلا عن استخدام الطوابع البريدية كسياق إداري لترصين عمل البريد، ولذلك ثبت تعليمات محددة فيما يتعلق بالمراسلات البريدية، فعلى المرسل أن يدفع رسما ضريبيا إلى دائرة البريد مقابل الرسائل التي تسلم إلى مركز البريد، وكذلك يترتب على المرسل أن يكتب أسمه على ظرف الرسالة مع الجهة المرسلة إليها، وعند حصول خلل صادر من المرسل، تترتب عليه غرامة تتناسب مع حجم الخطأ المتعلق بالرسالة، وكذلك يترتب على المرسل الذي يروم استرجاع رسالته توضح أسباب ذلك مع الإقرار بعائدية الرسالة له، وينبغي على المرسل تثبيت عنوان المرسل إليه باللغة التركية فضلا عن اللغة الأجنبية (لغة إنكليزية أو لغة فرنسية مثلا) في حالة تحرير الرسالة إلى الدول الأجنبية.

وتحصر الواردات البريدية من الأموال في عهده مدير الدائرة البريدية، وتجدر الإشارة إلى أن الدائرة قد أصدرت تعليمات بعدم قبول الرسائل التي تحتوي النقود، إذ اعتمد نظام (الحوالات) وذلك حفاظا على النقود من السرقة وما شاكلها وفي حالات معينة يمكن الاتفاق مع أحد سعادة البريد لنقل رسالته دون الحاجة الى تثبيت طابع عليها وخصوصا إذا كانت الرسالة موجهة نحو منطقة قريبة ، على ان يكون ذلك بعلم الدائرة ولقاء أجره مضاعفة عن الأجرة العادية.

وكان من حيثيات العمل البريدي إرسال الرسائل ذات الطابع الخاص ، حيث توضع الرسالة في ظرف بريدي مميز عن مثيلته وتختم في ثلاثة أماكن ، مع اصطحاب الساعي عند نقله هذا النوع من الرسائل إقرارا بريديا رسميا يذكر فيه أهمية هذا النوع من البريد.

أما فيما يتعلق بكيفية إيصال الرسائل فان دائرة البريد تحدد أوقاتا معينة، ويشرع السعاة بتوزيع الرسائل حسب عناوينها ابتداء من المناطق القريبة، ثم انطلاقا إلى المناطق البعيدة، كما كان بعض السعاة يبذلون جهدا إضافيا خارج نطاق عملهم، وخصوصا في مجال إيصال الرسائل إلى مناطق بعيدة، فعندها يحق له قانونا أن يقدم طلبا إلى الدائرة يوضح فيه ذلك الجهد المناسب بغية الحصول على مكافأة مناسبة.

ومن المشاكل التي كانت تكتنف عمل دائرة البريد، هي عدم وجود طوابع بريدية مثبتة على الرسائل، فضلا عن أن البريد المنقول إلى مناطق خارج مركز ولاية الموصل، كان يتعرض أحيانا إلى هجمات اللصوص وقطاع الطرق.

أما التلغراف الذي يعد وسيلة سريعة لتأمين الاتصالات، فقد نصب أول خط منه في عهد الدولة العثمانية ما بين الموصل وبغداد في عام ١٨٦١، وكانت هناك منظومة اتصالات تلغرافية ما بين الموصل ونصيبين وماردين وديار بكر، فضلا عن وجود اتصال ضمن تلك المنظومة ما بين الفاو ، البصرة ، القرنة ، بغداد ، كركوك ، أربيل ، الموصل.

واقتصر استخدام التلغراف في بداية الأمر على الجانب الحكومي والرسمي، إذ لم يعتد أهالي الموصل على استخدامه آنذاك، ولكن بمرور الزمن عرف الموصليون أهمية التلغراف بوصفه طريقة فاعلة لنقل ملاحظاتهم وانطباعاتهم وشكاواهم إلى مراجعها الأساسية. وهذا التطور في نظام التلغراف آنذاك ، كان له الأثر في أداء دائرة البريد، إذ أصبح استخدام التلغراف في مدينة الموصل على درجة من الأفضلية، ولم تتوان دائرة البريد على إعلان أجور استخدام الاتصال بالتلغراف البالغة (١٠ قروش نظير تدوين عشرين كلمة) في التلغراف المستخدم في داخل المدينة، في حين تزداد الأجرة إذا كان استخدام التلغراف بين الولايات المتباعدة. وتجدر الإشارة إلى أن كادر دائرة التلغراف كان يتألف من المدير وبمعيته عدد من المستخدمين في دائرة خاصة تعرف عند أهالي الموصل باسم (التلغراف خانة).

وقد تعرضت خطوط التلغراف في مدينة الموصل في فترة الحكم العثماني الى العبث والسرقة والتخريب ، ولكن السلطات العثمانية قابلت ذلك بشدة ، إذ فرضت غرامات مالية كبيرة في حالة إلقاء القبض على العابثين ، وحددت مقدار الغرامة بقصد المخرب ، فقد فرضت (٥٠,٥) ليرة ذهبية إذ كان التخريب بغير عمد من فاعله ، أما إذا كان التخريب بقصد مسبق من فاعله فعندها يغرم بغرامة قدرها (٥٠-٢٠٠) ليرة ناهيك عن حجزهم وتأديبهم لفترة محددة.

وحول مواصفات المواصلات بين إجراء الدولة العثمانية عموما، وما يتعلق بالمواصلات بمدينة الموصل خصوصا، فإنها كانت عموما تحتاج إلى تأمين السيطرة عليها، وخصوصا في مجال تعرض المسافرين إلى هجمات الغزو والنهب والسلب، ناهيك عن افتقار بعض الطرق إلى أساسيات مهمة لتسريع النقل ما بين الموصل والولايات الأخرى.

وكانت الطرق المعتمدة في ولاية الموصل في اتصالاتها مع الولايات الأخرى على نمطين فهناك الطرق البرية والطرق النهرية، ولعل موقع الموصل الحيوي جعلها نقطة انطلاق للطرق التي تتوجه إلى الداخل العراقي، لتوسطها ما بين مركز الإدارة العثمانية في العاصمة استانبول وبين أرجاء العراق الأخرى.

وقد أظهر الوالي العثماني في بغداد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢م اهتماما بالطرق البرية، إذ عمد إلى إرسال فرقة هندسية لغرض تطوير الطرق بين الألوية العراقية، ومنها ما بين الموصل وبغداد.

وتباينت أجور النقل البري على وفق السنوات، إذ أشارت أسعار النقل لعام ١٨٣٨م ما بين مدينة الموصل ومدينة حلب إلى (٢٢٠-٣٠٠ قرش للقنطار) ، في حين كانت في العام ١٨٦٠م بمبلغ قدره (٢٠٠ قرش) ، وكان أسلوب النقل يجري بأسلوب القوافل ، إذ يتفق التجار المعنيون بإرسال بضائعهم مع مسؤول القافلة، الذي يتحمل بدوره المسؤولية بعد الاتفاق على المواعيد الزمنية لانطلاق القوافل، ويعرف رئيس القافلة باسم (قافلة باشي)، الذي يمتلك مواصفات إيجابية تؤهله لهذا المنصب ومن أهمها الدراية الكاملة بالطرق البرية التي تمر بها القافلة تجنبا لحالات النهب والسلب في بعض الطرق التي لا يؤمن السير فيها.

فقد قصد الحاج محمد توفيق نعمان الفخري بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج فسلك طريق الموصل الشام بيروت برا وركب الباخرة (الوابور) إلى جدة وأدى مناسك الحج وعاد من طريق الذهاب نفسه وعند وصوله الشام من الحج استأجر عربة حنتور

تباينت أجور النقل البري على وفق السنوات، إذ أشارت أسعار النقل لعام 1838م ما بين مدينة الموصل ومدينة حلب إلى (220-300 قرش للقنطار) ، في حين كانت في العام 1860م بمبلغ قدره (200 قرش) ، وكان أسلوب النقل يجري بأسلوب القوافل ، إذ يتفق التجار المعنيون بإرسال بضائعهم مع مسؤول القافلة، الذي يتحمل بدوره المسؤولية بعد الاتفاق على المواعيد الزمنية لانطلاق القوافل

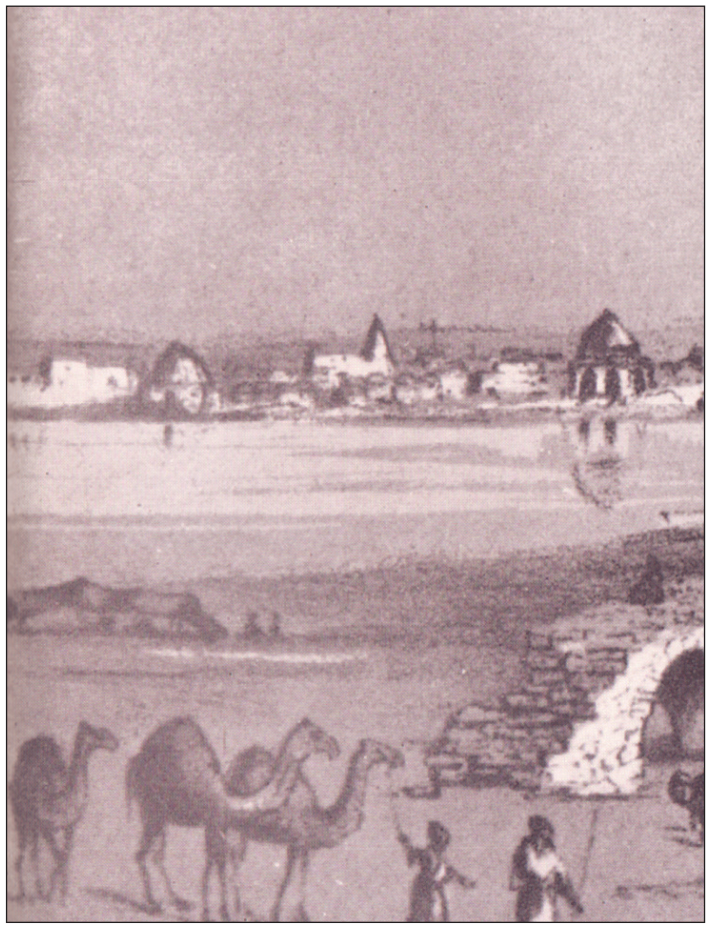

جديدة مع ثلاثة خيول من الشام إلى الموصل وكانت أجرة النقل مقدارها (١٥) ليرة عثمانية وكان صاحب الحنتور حاجي علي الشعراوي قد قبض نصف المبلغ أي (٧,٥) سبعة ليرات ونصف) نقدا والنصف الثاني المتبقي يدفعوها عند وصولهم الموصل.

أما النقل النهري (المائي) بواسطة الأكلاك فيعد من أقدم وسائط النقل الشائعة في حين كانت صادرات الموصل وبعض المدن الشمالية من العراق إلى بغداد تنقل بواسطة الأكلاك، تتكفل الأكلاك بنقل البضائع والسلع التجارية كالحاصلات الزراعية من الفاكهة والجوز والزبيب، إلى جانب نقل المسافرين وبأقل الخسائر الممكنة "وقد نشط النقل النهري بالأكلاك إبان العهد العثماني، وزاد من أهمية المدن وعمل توسيع مصادر ثرواتها الاقتصادية خلال ذلك العهد، وتبلغ حمولة الكلك ما بين (٥-٣٠) طنا وهي تستخدم بطريقة خاصة في نهر دجلة من الموصل إلى بغداد، وعمل الأكلاك وتسيرها في نهر دجلة أقتصر على عدد من أهالي الموصل وكان الشخص الذي يعمل في الكلك يدعى الكلاك".

والمدة التي يستغرقها الكلك في رحلته من الموصل إلى بغداد تتراوح ما بين (٦-٨) أيام في فصل الصيف أما إذا كان في أيام الفيضان وعند ارتفاع منسوب المياه فلا تزيد مدة الرحلة من (٣-٤) أيام. ومن أهم العراقيل التي تواجه الكلاكين في فصل الصيف هي انخفاض منسوب المياه النهر وظهور العديد من الجزر فيه، وهبوب الرياح أما في أوقات موسم الفيضان فكانت المخاطر التي تواجه الكلك تتمثل في سرعة جريان النهر إلى جانب ظهور دوامات قوية فيه كثيرا ما تؤدي إلى انقلاب الكلك وغرقه فضلا عن تعرض الأكلاك إلى هجمات وتعرضات قطاع الطرق واللصوص وأغلبهم من البدو.

أما الطرق النهرية فكانت مقسمة على وفق محطات معينة في نهر دجلة الذي تمر عادة من مدينة الموصل، وتبدأ المحطة الأولى للنقل النهري انطلاقا من منطقة ديار بكر وصولا إلى مدينة الموصل، وكان أغلب العاملين فيها من سكان ديار بكر وجزيرة أبن عمر وبعض من أهالي الموصل، والمحطة التي ترسو فيها الأكلاك في الموصل تعرف بـ (شريعة القلعة).

أما المحطة الثانية تنطلق فيها الأكلاك ثانية من الموصل باتجاه تكريت وهي تحمل أنواع البضائع والسلع ويتولى قيادتها كلاكون معظمهم من أهالي تكريت، الذين كانوا قد اتخذوا من مهنة الكلاكة مصدرا رئيسا لرزقهم لقرون طويلة حتى أصبحوا يسيطرون سيطرة كلية على النقل النهري ما بين الموصل وبغداد، في حين انتظموا في جماعات مستقلة وشكلوا صنفا خاصا بهم في الموصل هو (صنف الكلاكين) واستقر في محلة باب عراق الواقعة في منطقة باب الجديد.

المحطة الثالثة وهي محطة تكريت، إذ كان الكلاكون قد اتخذوا منها محطة استراحة فيها تتوقف حركة الأكلاك في الليل ليقضون ليلتهم فيها ثم ينطلقون ثانية في الصباح باتجاه بغداد حتى ترسو هناك على ضفتي دجلة في منطقة الكاظمية عند شريعة الأعظمية بعدها يقوم الكلاكون بعملية تفريغ حمولاتهم وبيع أخشاب الأكلاك إلى سكان بغداد لاستخدامها في بناء البيوت أما الظروف فكان بعضها يباع في بغداد وتستخدم في نقل المياه أو في حفظ التمور في حين يتم إعادة بعضها الآخر لاستخدمه مرة ثانية.

وأورد السيد محمد توفيق نعمان الفخري أن هناك مشروع نقل مائي من البصرة الى الموصل عكس اتجاه مجرى النهر لشركة أهلية مساهمة وأول عبّارة وصلت الى الموصل لنقل البضائع والأشخاص والخيول عام ١٨٧٠م وكان المرسى الذي خصص لها في محلة باب الطوب الواقعة بين الجسر المتنقل القايغات على الأبلام وجامع مجاهد الدين (جامع الخضر عليه السلام) وقد تأييد لي بأن بيت الحاج طالب المعروفين بتجارتهم للخيول مع الهند بأنهم كانوا ينقلون خيولهم بهذا الطراد الى البصرة ثم يشحنون خيولهم من البصرة الى الهند بواسطة البواخر الكبيرة وبنفس الطريق كانوا يجلبون الأثاث الخشبية الكبيرة ومن ضمنها المرايا.

ساسون حسقيل:

أشهر وزير في تأريخ الحكومات العراقية المتعاقبة

مازن لطيف

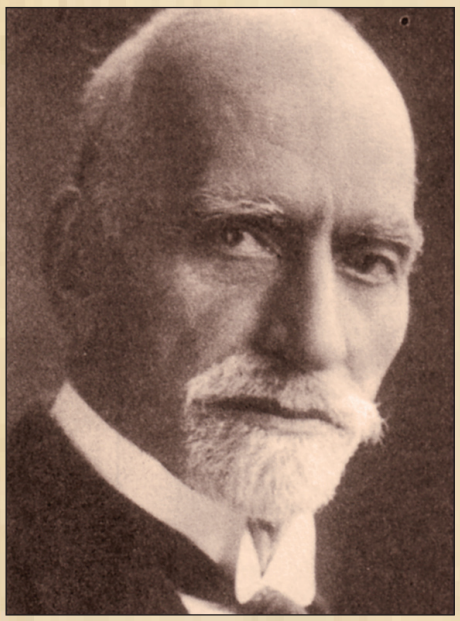

يعد ساسون حسقيل أحد اهم أعمدة الدولة العراقية منذ تأسيسها عام ١٩٢١، وكان مؤمناً بامكانية صهر جميع الطوائف والاقليات في بوتقة الوطن واعتبراها شعبا عراقياً واحداً، وكما قال الملك فيصل الاول، الدين لله والوطن للجميع.

وينتمي ساسون الى عائلة يهودية بغدادية برزت واشتهرت بالتجارة، كان والده من رجال الدين المتفقهين في الشريعة الموسوية.. ولد ساسون في بغداد عام ١٨٦٠ ودرس في مدرسة الاليانس، ثم ذهب الى اسطنبول للدراسة عام ١٨٧٧.. عين ترجماناً لولاية بغداد بعد عودته الى بغداد عام ١٨٨٥ وانتخب نائباً في مجلس النواب التركي الاول عام ١٩٠٨، ويعتبر ساسون احد الاعضاء الثمانية في أول حكومة قام بتعيينها السير برسي كوكس (المندوب السامي البرطاني). عين اول وزير مالية في حكومة السيد عبد الرحمن النقيب وانتخب ساسون لـوزارة المالية في وزارة النقيب الثانية "١٩٢١" والثالثة ووزارة عبد المحسن السعدون الاولى وكذلك في وزارة ياسين الهاشمي..

اعتبر ساسون من الشخصيات العراقية المهمة في تاريخ العراق المعاصر، وقد حرص على التقاليد البرلمانية الصحيحة وتطبيق النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، وقد وصفته المس بيل بأنه "أقدر رجل في مجلس الوزراء، هو صلب قليلاً وينظر إلى الأمور من وجهة الحقوقي الدستوري دون أن يعطي اعتباراً كافياً لأحوال العراق المتأخرة، ولكنه حر ونزيه إلى أبعد الحدود".

شغل ساسون حسقيل منصب وزير المالية ٥ مرات في فترة الحكم الملكي. ويعد ساسون اشهر وأنزه وزير عراقي في تأريخ الحكومات العراقية المتعاقبة، فكان أول وزير مالية عراقي أسهم بشكل كبير في وضع الأسس الصحيحة لقيام الاقتصاد العراقي وبناء ماليته على وفق نظام دقيق، وخير دليل على ما نقول هو سجلات مفاوضات النفط مع الانكليز، حينما اشار على المفاوض العراقي اضافة كلمة (ذهب) على جملة (اربعة شلنات) عند احتساب عوائد النفط، لكي يضمن استقرار نسبة العوائد.

ومن الطريف ما أوردته الخاتون الانكليزية (جرترود بيل) التي يقال بأنها كانت عشيقة الملك فيصل الأول، في رسائلها، بان تعيين ساسون (اليهودي) وزيرا قد تم بتدخل شخصي منها، ولم يستغرق إقناع عبدالرحمن النقيب إلا نصف ساعة، بينما لم تقنعه ايام طوال من التدخلات والتبريرات من طرف (الخاتون) لتعيين وزير (شيعي) في وزارته!.

ويذكر نجدة فتحي صفوة في بحث له نشر في مجلة دراسات فلسطينية انه عثر في أوراق رفائيل بطي على وصف لحادثة رواها له الشيخ محمد رضا الشبيبي الذي كان عضواً في وزارة ياسين الهاشمي الأولى، وساسون حسقيل وزيراً للمالية فيها. فقد عرض على مجلس الوزراء نظام وزارة المالية، واراد البعض أن يعارض اقتراحات ساسون، فغضب وقال لزملائه الوزراء هذا موضوع اختصاصيّ، وهو من اختصاصي، وكما أني لا أعارض الهاشمي في الشؤون العسكرية، ولا فلان في موضوع الادارة الداخلية، فلا أوافق على معارضتي في موضوع هو من اختصاصي، والنظام من رأيي، فان وافقتم عليه فبها وخيراً، والا فلا أعمل معكم، وغادر المجلس. وقال ياسين: يجب ان نخضع للمنطق وحاجة البلد، ولا معنى للعصبية. وأخيراً ذهب الهاشمي وأرجعه الى مجلس الوزراء في جلسة أخرى، وصودق على نظام وزارة المالية حسب اقتراح ساسون بحذافيره.

ويروي انه في احدى المرات التي ترأس فيها اللجنة المالية، كان ياسين الهاشمي مقرراً لتلك اللجنة. وكان ساسون دقيقاً في شؤون الميزانية العامة، في حين أن ياسين كان يحاول ان يحيد بأعمال اللجنة الى الخلافات السياسية.

فلما ضايقه ساسون في الأمر استقال من مقررية اللجنة، فقال ساسون لدى اطلاعه على استقالة الهاشمي، ان ياسين يريد باستقالته أن استقيل انا من رئاسة اللجنة، لانه يريد اقحام السياسة في اعمالها، وانا حريص على الروح البرلماني الصافي، ولذلك أستقيل أنا بدلاً منه. واستقال من رئاسة اللجنة ومن عضويتها أيضاً.

حاول ساسون قبل وفاته ان يختم حياته بمنجز من منجزاته الكثيرة وحاول وضع خطة دقيقة من أجل إصدار عملة عراقية وطنية، وسعى جاهدا من أجل تحقيق ذلك يساعده يهودي آخر هو إبراهيم الكبير مدير عام المحاسبة المالية آنذاك، وبالفعل فقد تم ذلك عام ١٩٣٢م وأصبحت النقود العراقية هي المتداولة بدلا من الروبية الهندية والليرة التركية.

قضى ساسون حياته عازبا دون أن يتزوج، ومات وهو أعزب. وكان له بيت فخم على شاطئ دجلة (في آخر شارع النهر، وقرب غرفة تجارة بغداد الحالية) ومكتبة فخمة تعدّ من اكبر المكتبات الشخصية في بغداد، وكانت غنية بمختلف الكتب باللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية والألمانية، وقد استولت الحكومة العراقية عام ١٩٧٠ على مكتبة ساسون وأودعتها ضمن مكتبة المتحف العراقي، ضمت مكتبته كتباً مختلفة وبلغات عديدة منها الايطالية والانكليزية والالمانية والتركية والاسبانية والعربية.

قالوا عنه:

× قال عنه امين الريحاني: "انه الوزير الثابت في الوزارات العراقية لانه ليس في العراق من يضاهيه في علم الاقتصاد والتضلع من ادراك الشؤون المالية".

× اما معروف الرصافي فقد رثاه قائلاً:

نعى البرق من باريس ساسون فاغتدت
بغداد أم المجد تبكي وتندب
ولا غرو أن تبكيه اذ فقدت به
نواطق اعمال من المجد تعرب
لقد كان ميمون النقيبة، كلها
تذوقته في النفس يحلو ويعذب
تشير اليه المكرمات بكفها
اذا سئلت اي الرجال المهذب
الا لاتقل قد مات ساسون، بل فقل:
تغور من أفق المكارم كوكب

× اما الاستاذ نجدة فتحي صفوة فيصفه: "كان على الدوام جريئاً في اعلان رأيه، قوي الحجة، حريصاً على الروح البرلماني، وكانت خبرته بالشؤون البرلمانية واسعة اكتسبها خلال نيابته في مجلس المبعوثان العثماني".

ما ياسين الهاشمي فقال عنه: "اذا ما ذكر ساسون أفندي فيجيء ذكره مقروناً بالكفاح العظيم في تنظيم شؤون دولة العراق في سني الانتداب العجام".

وثائق

الضابط جواد حسين الطيار الخاص للملك غازي يتحدث:

الحلقة الثالثة

د. محمد حسين الزبيدي

والغريب أن المقدم محمود سلمان بعد أن أدى شهادته طلب إلى الرئيس قائلا: هل تسمح لي أن أرى ورقة النوتا، التي سجلت فيها رؤوس الأقلام فيا عجب لهذه الشهادة وعجيب أمر هذا التحضير، سأل المجلس المقدم المذكور هل يعلم إذا كان لجواد دخل في القضية؟ فأجاب لما سمعنا بان حلمي ركب مع جواد في الطيارة قلنا لابد وان يكون مشتركا في القضية وفي المناقشة سألته ماذا يقول وأنا نشرت عن سفرات الخطوط الجوية ومواعيدها وأوقاتها وانه أي (حلمي).. ركب في يوم من أيام السفر الاعتيادية التجريبية لنقل البريد على طريق الصدفة فقال ذلك غير شيء إذن، وأنا لم أطالع شيئا عن مواعيد أسفار الخطوط.

ثم جاء كل من شاكر علي الزعيم والعقيد قاسم شاكر والعقيد عباس فضلي والمقدم علي غالب إسماعيل فأظهر الجميع بأن واحدا بعد الآخر ليست لهم أية علاقة مع حلمي ولا يعرفون من أمر المأمرة شيئا ولا يدركون معنى إعطاء أسمائهم إلى سموا الأمير وخرجوا، ثم جاء صالح صائب المقدم قد تبين عليه آثار عصبية وانفعال شديد وحاول أن ينكر كل شيء وبعد جملة أسئلة ظهر منها انه قابل حلمي لان الأخير قصده وليس له علاقة بأي أمر من أموره، ورفض أن يقول شيئا آخر وقال: اترك أموري لله ولوجدان المجلس وسكت متأثرا. ولما رأيت أن المجلس طلب بعدها زيادة الإيضاح في علاقة صالح صائب، ظهر بان حلمي قد زاره مرة وأرسل له صحنا من الكباب من بغداد مع خادم ورقة ورسالة أخرى من حلمي بعد توقيفه، اعلمه بانٍ هناك أمرا خطيرا فخرجت معه عفوا أو تقصداً ولم اشك في أن المحكمة ستحكم بالعدل. بعد الظهر ذهبنا يوم الجمعة إلى المجلس وظهر أن حلمي أعطى السلسة الماضية بعض المعلومات وقد اعترف بوجود مؤامرة وطلب المجلس من حلمي ان يقول جميع ما قاله الليلة الماضية (وظهر بان بعض اعضاء المجلس)، عزيز ياملكي ومحمود ويحيى وغيرهم وكامل الشبيب زاروا حلمي بعد الساعة العاشرة مساء، وتمكنوا من تحصيل اعتراف منه بطرق لا اعرفها لتضبط إفادته وكان يستمع رئيس أركان الجيش الى ذلك وتبين ان ملخص اعترافاته بانه كما قال الامير: تعرف اليه وبقي يراجعه لتدبير الأمر وان له في ذلك علاقة مع العقيد توفيق حسين رئيس شعبة الاستخبارات في الجيش العراقي وذلك قبل سقوط وزارة جميل المدفعي وان واسطة الاتصال بين حلمي والعقيد توفيق حسين سيدة تدعى (نظيرة) وذكر أوصافها وكيف إنهما تحابا وتمكنت منه وخبرته عن وطنية توفيق.. الخ ثم أن حلمي اخذ المخطط لدار الأمير وأعطاه إلى توفيق حسين ليدرسه وظهر من اعترافات حلمي المفصلة بان توفيق هو الذي يدير هذه القضية. يوم السبت مساء: ذهبنا الى المجلس فحضر توفيق حسين وجاء لاستماع من رئيس أركان الجيش ووزير الدفاع وصلاح الدين الصباغ، فاطلع توفيق حسين على ملخص افاد حلمي فقام غاضبا وطلب ألا يقاطع في حديثه. تأسف على طريقه توقيفه وبين بان لابد وان هذه المسألة مدبره في خيال حلمي وان ليس له أي علم بما يسمع الآن وانه يعمل في سلك الاستخبارات ولا يوجد اي عامل من الجنس اللطيف.

ان توقيفه هذه المدة قد يـؤدي الى ان يقوم بتلفيق خطة ضدنا.. الخ. ولقد اكد بأنه غير ممكن ان يتفق ليعمل مع حكمت سليمان كما جاء في إفادة حلمي لان حكمت سليمان قد حرمه من حق عيشه فكيف يحترم ويعمل مع مثل هذا الشخص الخ.. وخرج وخرجنا ولما رأيت أن الأمر اخذ يتعقد وانه قد يكون في البلد من يريد الإساءة إليه وقد تكون للقضية اصابع اجنبية وانها من اعمال التجسس الأجنبي، فزعت للامر كثيرا شفقت على اسمي من ان يمتزج بمثل هذه المكائد والله اكبر فطلبت من المجلس ان يسمح لي بجلب محامي وان لتصل مع اخي وعدت الى غرفتي الضيقة تأكلني الافكار والوساوس محتار في الامر. جئ بحكمت سليمان (فأخذت العقود من هذه الاوضاع) فأتهم حكمت بتدبير المؤامرة المذكورة فرد عليهم بكل كلام مؤثر وبين، بأنه ترك كل عمل بالسياسة منذ تخليه عن الوزارة وله في ذلك شهود وجادله المجلس بأنه السبب المباشر لمداخلة الجيش بالسياسة (سبحان الله) ورد عليه ذلك أيضاً ثم جيء بعلي غالب الأعرج، فاتهموه في المؤامرة واتصاله مع إسماعيل فبين لهم بأنه ليس له علم بشيء مما يتكلمون به، وجاء بعد اسماعيل عباوي ويونس عباوي ناكرا ما سمعاه وأنهما بعيدان عن كل الأمور، بعدها بدأ يظهر من متابعة صور الاتهام بان ادعاء المدعي العام بان حكمت سليمان هو رئيس هذه المؤامرة وجميع المتهمين الباقين هم من عمالة؟ وذكر المجلس ليونس عباوي بأنهم مسكوا كتابا في البريد من احد أفراد الدحلوجي في الموصل إلى آخر منهم في بغداد يخبر الأول بأن يونس سيقوم بثورة مسلحة في الشيخان في الشمال ضد الحكومة. وقد عثروا في داره على أسلحة.. الخ فرد يونس قائلا: ما كنت اعلم أن الرسائل فيما مضى تحت المراقبة وعجيب أن تمسك هذه الرسائل من بين جميع رسائل العالم، انها مكيدة مدبرة ودنيئة وان لبيت الدملوجي أغراضا وعـداوات معهم، تبين فيها أن هناك نزاعا على مسألة أراض وغيرها. ومن اغرب ما رأيت في حياتي هي شهادات الشهود الذين جاء بهم الى المحكمة وهم على الترتيب التالي: ١. رسول ناجي: موظف في بعقوبة: انه سمع من صديق له بأن حكمت سليمان يريد ان يقوم بمؤامرة لقلب الحكومة فلم يرض بالامر فذهب الى بغداد بأجازة وذهب توا إلى دار حكمت سليمان ودخل عليه، فقال له: علمت بأنك تريد قلب الحكومة فانا اريد ان اكون بخدمتك فأجابه حكمت بك نعم أنا سامع باسمك وانك مشهور واتشرف بهذه الخدمة فيجب ان تذهب وتستقيل من وظيفتك وتذهب الى الشمال اطراف كركوك والسليمانية لتحرض العشائر على الثورة. وأثناء مجيئه شاهد شخصان يخرجان من دار حكمت سليمان يرتديان سدارة ويظنهما الرئيس حلمي وجواد وذلك في الساعة الرابعة من يوم الجمعة وذكر تاريخ ذلك اليوم، وقد حاجبه المجلس عن أثاث الغرفة التي جلس فيها في دار حكمت بك وعن المدخل وظهر للكل أعمى القلب بأنه شاهد زور وقال رسول ناجي ولما علمت بان حكمت يريد أن يقوم بهذا العمل ضد نوري قلت سأفكر في الامر فجئت لدار نوري باشا السعيد اريد اخباره فلم افلح فجئت الى توفيق حسين وامرني ان اذهب الى امر القوات العسكرية، وقد بينت للمجلس أن التاريخ الذي يذكره الشاهد من يوم الجمعة كنت أنا بحضرة صاحب الجلالة الملك في قصر الملح اشرب الشاي وإنني لا ارتدي السدارة في حياتي الاعتيادية. ٢. رشيد: خلق المنظر رث الثياب اعور في عينه اليسرى قال كنت ذاهبا إلى الصليخ لأرى حصانا ذكر لي عنه لأشتريه (حيث انه حصان) وكان بصحبتي احمد أبـو عكرب فذهبنا ولم نجد الحصان وبالعودة وأمام دار حكمت سليمان رأيت جمعا من الرجال حوالي خمسة وكان من بينهم حلمي ابو مناظر وجواد لم يذكر اسمه ولم نعرفه وعلي غالب الاعرج وآخر يلبس يشماغا وكان الجميع يتحدث عن مؤامرة في الطريق ويضحكون و"يطبطب" كل على ظهر الآخر وكان ذلك في المساء، الاضوية مشتعلة وقد سمع حكمت يقول (ابشرفكم هذه المرة الدم لازم يوصل للركبة الخ..) وقد ظهر بأن هناك اختلافا بينا وبين الكتاب الذي قدم والإفـادة التي أعطاها امام المجلس التحقيقي وافادته الاخيرة، وظهر انه قصير النظر جدا لم يعرف دار حكمت بالضبط وكان قد ذكر اسم جواد حسين الطيار في كتابة ولم يتمكن من معرفتي في المجلس وهكذا اظهر للمجلس بانه كاذب بافادته. ٣. احمد ابو عكرب: وهو صاحب رشيد وقد اختلف معه في الافادة فقال احدهما انهما ركبا باصا الى الاعظمية وجـاءا ماشيين الى الصليخ وقـال اخر انهم جاءوا بالعجلة الى الصليخ ولم يقل الاخير شيئا سوى انه كان بصحبة رشيد وكان يحاول عدم الاصغاء الى المحادثة لانها لاتعطيهم خبزا. ٤. شيخ مسكين من الكرد لم يعرف شيئا عن الحادث ويعرف من الجميع حكمت سليمان وليس عنده شهادة. ٥. شيخ صالح بن عيدان: قريب محمود الهنيدي القوة الجوية العراقية، رأيت محمود الهندي يعيني عند المجيء الى المجلس وهو يشير الينا ليعرف قريبه هذا بالأشخاص مع عدنان العسكري الذي كان معه شخصا اخرا وهـم يـأخـذون الرسـوم الفـرتـوغـرافية، وقد اعترض على ذلك يونس عباوي في المجلس فأهتم الرئيس للامر ظاهـرا، وقـال معروف جياووك (اي وشكو). اما الشيخ المذكور فيظهر لي من مشيته انه لم يلبس قبل هذا اليوم حذاء لانه لايعرف كيف يمشي وليس عليه اي اثر للمشيخة واذا لقيته في الطريق لظنت بانه من السوقه الاوبـاش لقد قـال فيما قـال من اللغو الفـارغ انـه بينما كـان يـومـا مع الشيخ حبيب الخيزران اخبره الأخير بان هناك حركة ترمي إلى قلب الحكومة يقوم بها حكمت بك ودخل الدار وكان المساء عندئذ لم يعرف كيف يصف البيت ولا المدخل ولا اثـاث الغرفة وقـال: انه شرب قهوة حلوة ومرة ولا يعرف شكل ولبس الخادم، وكان في الغرفة مع حكمت ناس كثيرين فأستقبلهم حكمت وبعد ان عرفه حبيب الخيزران بالشيخ صالح قال له حبيب الخيـزران شوف ياشيخ صالح وهذا جواد الطيار (اشار الي ولكن الظاهر نسي اسمي الان وكـان قد ذكره في مجلس التحقيق) من دون جميع الجالسين تكلموا عن قيام ثورة فقلت سأذهب انا واستشير ابن عمي (او خالي) يقصد محمود الهندي ولم يظهر في كلامه غير الكذب وشهادات الزور وليس له اتباع ولا هو بالشيخ ولقد أخرسه اعضاء المجلس بالاسئلة وظهر لهم بانه شيخ الكذابين. لطيفة: ذكر حكمت بك اثناء المناقشة رئيس المجلس. ارجوكم ان كان جميع الشهود من هذه (الغابريقة) فارجوكم ان تسدوها لانها لن تنتهي.. وهل يا ترى اعتمدتم على امثال هذه الشهود فجلبتم رئيس حكومة سابقة واوقفتموه الى هنا انتهت الشهادات وبقي للمجلس ان يدرس القضية، وقال رئيس المجلس يجب ان نحضر انفسنا للدفاع الاخير يوم الاثنين المقبل. المحامون: كان اخي قد جلب لي كل من السادة عوني النقشلي وعبد الرزاق الشبيب بحسب اختـياره فقصصت عليهما القضية الماضية بالتفصيل بعد ان رفض رئيس المجلس ان يطلعهم على الافادات المضبوطة رفضا دعا الى الاسف ولقد اسفت للخشونة التي عومل بها جميع المحامين فكان الجو صارما عليهم كما كان علينا وانني كنت جدا مرتاحا لوجود المحامين بيننا في الدفاع الاخير (هي أول وآخر استماع)

حضره المحامون على الرغم من أنهم لم يحضروا الجلسات وعلى الرغم من انهم لم يكن لهم او لدفاعهم فائدة تذكر، ولكن كان في وجودهم في الدفاع الاخير قيمة لاتثمن (تبارك الله فقد شهدوا بأنفسهم كيف ان الخصم هو الحاكم) وتأكدوا من (العدل اساس الملك) وان (رأس الحكمة مخافة الله) وتعلموا هناك معنى الآي الكريم التي تعد من اسس القانون ولاتزر وازرة وزر اخرى) وتلك الامثلة نضر بها للناس. اليوم (او الدفاع الاخير): تأجل الدفاع الى يوم الثلاثاء صباحا فحضرته الهيئة والمحامون وجميع المتهمين وبدا حضرة المدعي العام يكيل تهمه بكل صلافة ويقدح الافراد بكل جرأة ونذالة مستعملا حوادث الماضي اسبابا موجبة للحكم في هذه القضية وقال ماذكره عني، انه كان حلقة اتصال بين مدبري هذه المؤامرة ولقد ملئت سجلات الشرطة من اعماله المنكرة وعلى الرغم من انه شاب جريء وذكي وكان اول من اطلق النار على جبهة المرحوم جعفر العسكري الذي رباه..الخ من التهم الباطلة التي كانت بعيدة كل البعد عن النزاهة والتي لايقبل بها اي وجد ان حي، وقال وانه خطر على المجتمع.. اسودت الدنيا في عيني لتلك الاكاذيب التي كالها علي وعلى الاخرين هذا المدعي العام فتخيل لي بانه ليس من البشر مطلقا ودافعت، ودافع المحامون عنا، وكان اتهام الاخرين اشنع حتى بكلام بذيء (فلا حول ولا قوة) وانتهى المجلس وبقينا في انتظار تاليه انها لكارثة يقشعر لها قلب كل بريء من هذه الاساليب القبيحة اين نحن من ايام محاكم التفتيش اين نحن من عهد الطغاة الظلمة ومن ايام نيرون الظالم.. اين العدل والاصول الديمقراطية في المحاكمات اين حقوق الفرد وواجبات الدولة والعدل تجاهه اين ضمائر الحكام وعدلهم واين وجدانهم الطاهر وعدم الانحياز، وهؤلاء من خيرة حكامنا على ما يعرف وكيف حالة مثل هنا الجيش الذي فيه هؤلاء الضباط وكيف سيدافعون عن البلاد يوم الجهاد واين واين... وحقيقة إنني أصبحت خطرا على الجميع واكون انا خطرا على هذا المجتمع.. ربي رحماك من هذه الأباطيل النتنة، بقيت في غرفة التوقيف وانا بين الافكار والهموم انتظر يوم الافراج عني واحقاق الحق والعدل. مساء يوم الجمعة- السجن المخيف:١٧/ ٣/ ٣٩ كان يوم الجمعة المظلم- الاسود- المخيف وبينما انا اتوقع امرا كل دقيقة فتحت الباب وطلب الينا ان نتحضر ظننت بدء اننا سنذهب الى المحكمة طبعا لسماع الحكم.. ولكن مع ذلك اجمعوا اغراضكم.. تارة اخرى افرح لانني سأطلق كما يطلق الطير البريء واذهب إلى أهلي وأصدقائي وتارة يخطر لي اتهام المدعي العام فاقول انما يريد بي شرا فاخرجت الى خارج بناء التوقيف فاذا سيارة السجون السوداء القبيحة وسيارات اخرى تاكسي وقلت في نفسي، لاشك ان سيارة السجون ستأخذ من ثبت معهم الجرم وان احدى هذه السيارات ستعيدني الى داري حرا طليقا ولكن لما كان الطلب علي ثقيلا ان ادخل في سيارة السجن، فدخلت وانا احدث نفسي أألى السجن بعد كل هذا؟! ايستعملون هذه القسوة؟ ولكنني لم اعرف بان هذا الغيث اول المطر ثم ينهمر.. سارت بنا السيارة وبسم الله مجريها بين السيارات المسلحة الى وكفى. الرياضة: ثلاثة او اربعة غرف صغار تسمى بالرياضة فكان نصيب حكمت وحلمي وجواد ولم يطرأ في خاطري انني محكوم علي بالاعدام وبت فيها ليلتين دعنا من قساوة ذكراها. الخبر او اعدام البرئ: جاء السيد صالح الموظف في السجن صباح ١٩/٣/٣٩ جواد بك مسألتك زين صارت، ١٥ سنة اشغال شاقة وبدلة حمراء مائلة الى السواد خشنة مقملة وسلاسل وقيود.. بالخير والتمام والله ولي التوفيق ولو كان لي يد في القضية لانشدت. مرحبا بالخطب يبلوني اذا كانت العلياء فيها السببا والان انما انا رقم من الارقام.. ١-ويأتيك بالاخبار من لم تزود: ادخلت في احدى دور السجن الفسيح المسمى (قاووش الحفاي) ومعنى ذلك ان ليس في ارجلهم السلاسل وفي احدى الغرف التي جمعتني مع يونس واسماعيل عباوي، علي غالب الاعرج، وعبد الهادي.. واذكر عن عبد الهادي ان جاءه في الليل اثناء وجودنا في التوقيف حضرة رئيس المجلس عزيز يا ملكي وطلب اليه ان يعطي افادة خاصة وعرض عليه نقودا واطلاق سراحه وغير ذلك، وقد سمع الحديث الجاري.. وكان في المدينة.. علي غالب الاعرج الذي كانت غرفته مجاورة لغرفه عبد الهادي. حادث مؤسف: خبر حادث صاحب الجلالة الملك غازي خبر جزع له القلب فاسفي وشديد حزني. كان ملكا وكان صديقا محبا.. الى عناية الله ورحمته. اخبرنا بذلك حضرة المدير ٤/٤/١٩٣٩. اشتدي يا ازمة: لم يكن الحكم القاسي كاف فحولونا الى اماكن مختلفة وسفرونا في يوم ٢٤/٤/٣٩ مساء بقطار البصرة ومنها الى العمارة.. فوجدت نفسي مع كل من حلمي عبد الكريم وعبد الهادي.. ايصح ان يعيش المرء مع من سبب له او كان بعض السبب غير المباشر لهذه الكارثة.. وكيف سفرنا مكبلين من الارجل والايدي معا كل اثنين معا.. يد اليسرى باليمنى مع سلسلة طويلة تربطنا الى حيث يتمسك بها الشرطي.. وماذا بعد وصولنا سجن العمارة مساء ٢٥/٤/٣٩. ٢. ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتا ولم تعرب له وفق موعد. اخبرني حلمي.. بأنه قد زاره في التوقيف عدة مرات كل من عزيز ياملكي وسعيد يحيى وكامل شبيب وطلبوا اليه ان يشهد بان جواد حسين هو الذي اخبرني وعرفني على حكمت سليمان وان يعترف بأمور اخرى وله منهم امال الحرية والابقاء في الجيش. وقال ايضا هل تعرف جرمي سليمان، فأبت شهامة الاخير ان يعمل ما أراد أصحاب الوجدان. وطني رعاك الله من كل رزية: ومن يدري ماذا يكيدون لهذه الوطن العزيز ولبعض آخر من الذين لم يقوموا بأية إساءة له وجل غايتهم في الحياة هي خدمته والاخذ بقسط من المساعدة في إنهاضه أنا في شك: إذا كان كما ظهر في المحكمة بأن القائمين بالحركة هما حلمي وعبد الهادي الذي عرفه علي الأمير.. واذا لم يكن لنا نحن الخمسة علاقة بهذه القضية.. وإنما أريد بنا شرا فمن هو (ارسين لوبين) هذه القضية ان تقدم الفن القصصي الإجرامي عند حكومتنا الفتية في تقدم ولكن لا بأس نقاسي نحن فليحيا الوطن الا ان الحياة ولو بشر لخير للبلاد من الجحور المنسيات:

١. لقد شهد في المحكمة خادم حلمي عبد الكريم وخادم اخر في كركوك وكان كلاهما شاهدين على علاقة حلمي بالعقيد صالح صائب فالأول اخذ رسائل الى العقيد والثاني شهد على زيارته له في كركوك وليس لشهادتهما علاقة بي، وعرف الخادم الأول كل من عبد الهادي وصالح صائب وكان دور محاكمتها بيني وبين العقيد المذكور.

٢. وشهد بهاء الدين النائب في صالح عبد الهادي.

٣. كان يسكن الغرفة المقابلة لغرفتي العقيد صالح صائب في التوقيف سمعت جيدا وميزت صوت كامل الشبيب وهو يحادث العقيد صالح صائب والأخير يقسم ويحلف.. الخ. وختم الأول قائلا ومودعا يظهر لي انك تريد البقاء هنا.

٤. عرفنا في سجن البصرة من المحكوم عليهم بقضية الموصل من اقارب عباوي بأن الضباط عبد الوهاب الشيخ علي وعدنان العسكري هما اللذان دسا الكتب في دار اسماعيل ويونس تلك الكتب المزورة فلا حول ولا قوة الا بالله.. انتهى كلام جواد الى الحد المار الذكر واذكر هنا نص صورة الحكم بحق جواد وجماعته الذي سيتضح فيه ان المراد من هذه المؤامرة الصورية هو الانتقام من المساهمين بحركة انقلاب بكر صدقي وخاصة المتهمين بقتل جعفر العسكري من قبل نوري السعيد. الحكم بناء على الإرادات الملكية المطاعة المرقمات (١١١و ١١٢و ١١٣و ١١٤) المؤرخات ٥/٣/٣٩ تشكل المجلس العرفي العسكري برئاسة العقيد عبد العزيز ياملكي وعضوية حاكمين، معروف جياووك. وعبد العزيز الخياط.

والمقدمين سعدي يحيى ومحمود حلمي المأذونين بالقضاء بأسم صاحب الجلالة ملك العراق واصدر القرار الاتي: سيق المتهمون الرئيس حلمي عبد الكريم والرئيس عبد الهادي كامل والرئيس المتقاعد الطيار جواد حسين والعقيد صالح صائب والسيد حكمت سليمان والرئيس الاول المتقاعد علي غالب الحاج عريان والرئيس المتقاعد اسماعيل بن احمد العباوي ويونس ابن احمد العباوي موقوفين الى المجلس العرفي العسكري لاجراء محاكمتهم عن التهمة الموجهة ضدهم من قبل المدعي العام وفقا للفقرة الاولى من المادة السابقة من منشور الجيش العراقي بدلالة المادة الثالثة عشر منه. وقد اجريت محاكمتهم بعد ان طلب المدعي العام اتهامهم كما ذكر سابقا واستمع المجلس الى اقوال المتهمين ومكنهم من تعيين وكلاء لهم للمرافعة عنهم وقد توكل عن الطيار جواد حسين المحاميان عوني النقشلي وعبد الرزاق الشبيب وعن العقيد صالح صائب المحامي عباس العزاوي وعن السيد حكمت سليمان المحامي جمال بابان وعن اسماعيل واخيه يونس ولدي احمد العباوي المحامي سلمان الشيخ داود فاستمع المجلس شهادة الشهود وهم: سمو الامير عبد الاله وجواد حسين اذ اخذت أفادته اولا بصفته شاهدا وبهاء الدين النقشيندي والعقيد عباس فضلي والعقيد علي غالب اسماعيل والعقيد صالح صائب (اذ اخذت افادته اولا بصفته شاهدا) وشهادة جلال الدين الاسعدي والرئيس سعيد طه والرئيس ذنون طه والجندي السائق جمال رفعت والفراش امين الحاج محمد وحسن ابن عجيل خادم المتهم حلمي وشهادة كل من رسول ناجي معاون مأمور استهلاك بعقوبة وحسن بك بن ريس من عشيرة الدلو، ورشيد بن محمد ابن الحاج جواد الملقب بابي عكرب، وصالح بن عيدان من عشيرة الجبور وعبد الله الدملوجي. ثم استمع المجلس افادات المتهمين الاخيرة ودافع كل من المحامين المنوة عنهم سابقا كل عن موكله، وقدم دفاعه للمجلس تحريريا وذلك بعد ان استمع المجلس طلب المدعي العام ادانة المتهمين وفقا للمادة السابعة والثالثة عشر من منشور الجيش العراقي ولدى التأمل بعد التدقيق والمذاكرة ثبت للمجلس انه دبرت مؤامرة خفية مركزها بغداد من اكثرية المتهمين وهم الرئيس حلمي عبد الكريم والرئيس عبد الهادي كامل والرئيس المتقاعد جواد حسين والسيد حكمت سليمان والرئيس الاول المتقاعد علي غالب الحاج عريان والرئيس المتقاعد اسماعيل بن احمد العباوي واخيه يونس بن احمد العباوي لقلب الحكومة الحاضرة وقتل عدد يتراوح بين اربعين او خمسين شخصا من افراد الجيش وكبار موظفي الدولة من ضمنهم رجال الوزارة الحاضرة بصورة اجراء وليمة في قصر سمو الامير عبد الالة يدعى اليها مائتين وخمسين شخصا من ضمنهم الذوات المطلوب اغتيالهم والذين يقومون بتنفيذ الاغتيال وقد رغب المتأمرون ان تعرض هذه القضية على سمو الامير عبد الاله بواسطة الرئيس حلمي عبد الكريم.. ولما كان الموما اليه لم يسبق له معرفته في وسط الرئيس عبد الهادي الذي له معارفة سابقة مع الامير لتقديمه وذهب كلا الرئيسين سوية.

لقصر سموه والرئيس حلمي عرض المؤامرة وكيفية تنفيذها واسباب هذه المؤامرة وان الرئيس حلمي قد زار سموه لهذه الغاية حوالي العشرة مرات. اما سمو الامير فقد استنكر هذه المؤامرة الاثيمة فوسع صدره لكتمانها فاستعمل الاحتياط والتدابير اللازمة بغية الاطلاع على نوايا المتأمرين والحيلولة دون تنفيذها من جهة اخرى لاخبار المقامات ذات الشأن لاتخاذ التدابير المقتضية لقمع هذه المؤامرة المذكورة. هذا وان الرئيس حلمي ذكر لسمو الامير بعض الاشخاص المناصرين لفكرته بحسب زعمه وهم من كبار الجيش وذلك لاجل التمويه وجس نبض سمو الامير لاختباره فيما اذا كان يناصر هذه الفكرة ام لا، لان سموة كان يرغب رغبة شديدة للاطلاع على اسماء الذين سيقومون بالقتل واسماء الذين يجب قتلهم فكان الرئيس حلمي يكتم ويمتنع وبالاخيرة بصورة تمويه عرض بعض اسماء من افراد الجيش بداعي انه من الذين يسيرون المؤامرة لاجل دفع الشبهة عند المتهمين المارين الذكر اعلاه وان المتهم في جميع زياراته لسمو الامير كان مصرا على تنفيذ هذه المؤامرة وبين سموه له عدم مساعدة قصره الحالي لاستيعاب هذه لوليمة الكبيرة، وطلب تأجيلها الى ما بعد اكتمال بناء قصره الكائن قرب الجسر قاصدا في الحقيقة منع حدوث هذه المؤامرة. طلب الرئيس حلمي من سمو الامير ان يطلع على مخطط القصر الجديد وفعلا اخذ المخطط للقصر وابقاه عنده مدة يومين ثم اعادة ولم يكتف بمطالعة المخطط بل ذهب بالذات وكشف عن مشتملات القصر الجديد وبين الرئيس حلمي لسموه بأنه سيذهب الى كركوك والموصل لاتخاذ الترتيبات المتعلقة بهذه المؤمرة وفعلا ذهب الرئيس حلمي بطيارة المتهم الرئيس المتقاعد جواد حسين الى كركوك ثم عاد وبعد عودته القي القبض عليه وزج في التوقيف.

اما الرئيس عبد الهادي كامل فلم يشترك بجميع زيارات الرئيس حلمي لسمو الامير سوى في المرتين الاولتيين بتعريف الرئيس حلمي لسموه واطلع على بعض مقدمات المؤامرة في هاتين الزيارتين وبعد توقيف الرئيس حلمي ايضا جرى توقيف الرئيس عبد الهادي. ان الرئيس عبد الهادي كتم معلوماته عن امرائه بداع انه سيعرضها على فخامة رئيس الوزراء نوري باشا السعيد بعد عودته من لندن الى بغداد وقبل عودة رئيس الوزراء الى بغداد ان المتهم الرئيس عبد الهادي. استفسر من الشيخ بهاء الدين النقشبندي عن يوم عودة فخامة رئيس الوزراء مبينا ان لديه امورا تتعلق بالجيش يجب عرضها على رئيس الوزراء فبين الشيخ للمؤما اليه بأن فخامة الرئيس سيعود قريبا ان الرئيس حلمي والرئيس عبد الهادي قد اعترفا بجميع ماذكر اعلاه امام المجلس العرفي وقد تأيد اعترافهما بشهادة سمو الامير عبد الاله امام هذا المجلس هذا ما جاء بحق المتهمين الرئيس حلمي والرئيس عبد الهادي اما المتهم جواد حسين فقد نقل احد المتهمين الرئيس حلمي بملابسة الرسمية بينما كان يعلم ان هذا الضابط غير مجاز ومما يؤيده اتفاق جواد حسين في المؤامرة في اعتراف المتهم حلمي بانه بينما كان آتيا بالعجلة صادف جواد حسين في عجلة اخرى على السدة ونزل الاثنان من العجلتين وتوجها الى المطار وقطعا مسافة بعيدة مشيا اذ نزلا من السدة الامر الذي يدل على انهما تذاكرا في الطريق بشأن الذهاب الى كركوك ولم يشاءا ان يتداولا في العجلة في المؤامرة وفضلا عن انه سبق له الاعمال المضرة للبلاد ومن الذين يشتغلون في امثال هذه المؤامرات بالنظر الى سوء سلوكه وجرأته المشهودة، وقد اعترف المتهم بانه قد نقل الرئيس حلمي بطيارته الى كركوك وتركه هناك بضعة ساعات وذهب الى الموصل ثم عاد به الى بغداد.

وتأيدت مواجهة جواد حسين مع بعض الاشخاص في الموصل بوجود اتصاله بالمتهم الثامن يونس عباوي واخيه حيث اعترف المتهم الثامن من انه شاهد جواد حسين في النادي قبل هذه بمده وسلم عليه، كذلك جاء في الكتب التي وجدت في دار يونس عباوي بالمؤامرة اسم جواد حسين بصراحة ولزوم اعطاء الكتب بيده دون دائرة البريد وكذلك مواجهته مع حكمت سليمان مرارا كما جاء في افادة الشهود والاوراق السرية وفي افادتة حكمت سليمان المضبوطة امام المجلس. اما المتهم السيد حكمت سليمان وان كان قد انكر اشتراكه في هذه المؤامرة ولكن قد تبين من افادته امام المجلس بانه كان قد سبق اجتماعه بالمتهم يونس عباوي النائب الاسبق في زمن وزارته لما عرض عليه يونس عباوي الاشتغال معا في ايام الوزارة الحاضرة ولم يوافق انما السيد حكمت سليمان لم يخبر الحكومة بما كلفه الامر الذي يدل على انه كان متفقا معه في الرأي كما ان السيد حكمت اعترف بانه كان يتواجه مع جواد حسين وله معارفه واتصال معه كما ان الموما اليه السيد حكمت اعترف ايضا بانه ارسل خبر الموقوفين في هذه الدعوى ان لايشتغلا الان في السياسة بينما كان قد افاد من انه منذ سنة ونصف لم يلتقي بهما. فيظهر من ذلك ان حكمت له رجال واتباع تابعين لاشارته وينفذون اوامره سلبا وايجابا وقسما منهم من رؤساء العشائر على الرغم من بياناته انه ترك الاشتغال بالسياسة وجاء في الافادات، المستمعة ضده والوثائق الرسمية المحفوظة بين الاوراق ما يؤيد على علاقته في المؤامرة ومواجهته مع حلمي وجواد حسين.

اما المتهم علي غالب فقد جاء اسمه بانه شريك في هذه المؤامرة فضلا عن انه سيء السلوك ومخرج من الجيش لسوء سلوكه ولم يقدم دفاعا مقنعا لصالحه ينفي عن اشتراكه في هذه التهمة.

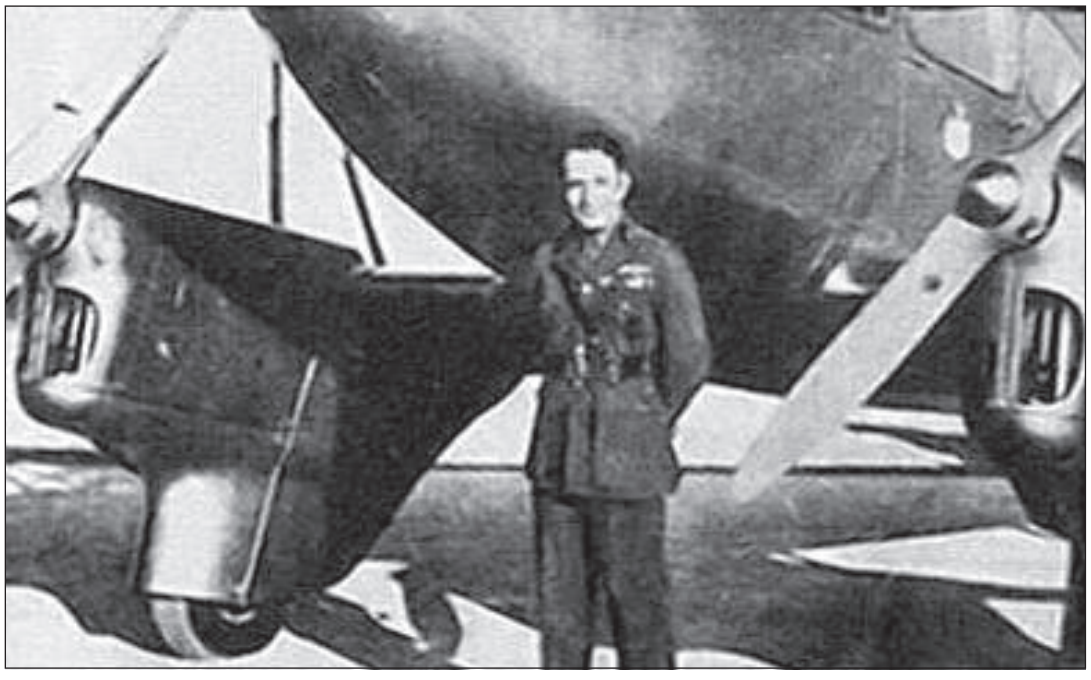

من صحافة أيام زمان

حسين شهيد

من المَجلات العراقية التي صدرت في بغداد في فترَة العهد الملكي هي (مجلة قرندل) لصاحبها ورئيس تحريرها صادق الازدي، وكان مديرها والمسؤول عنها (المحامي مهدي الصفار) وهي مجلة فكاهية سياسية مستقلة، تميزت بالفكاهة وصدق الكلمة والجرأة في التعبير عن هموم الشعب وتطلعاته نحو المستقبل كذلك تعالج المشاكل الاجتماعية بطرق خاصة انتقادية لا غبار عليها وبأسلوب ساخر ناقد، وهي كانت تصدر في محلة جديد حسن باشا ومسجلة بدائرة البريد برقم (٢٣١) وكان الاشتراك فيها سنوياً داخل العراق بمبلغ ديناريين ونصف وفي خارج العراق ثلاثة دنانير .. نشرت مقالا تحت عنوان (أين الحقيقة وأين الحقوق) في عددها (٢٢) لسنة ١٩٤٧ جاء فيه: كثر القيل والقال واحتدم العراك والجدال حول نتائج كلية الحقوق هذا العام، تلك النتائج التي لا أريد البحث عنها فقد كانت تدل على نفسها بنفسها وقد كفتني الصحف المحلية وأقلام الكتابة مؤونة غمزاتها والكشف عن أسرارها. لم اهتم لكل ما نشر ولكل ما قيل إلا أن مقالاً (لمنصف) وهم كما يستشف من عباراته واسلوبه لا يدل على انه منصف فحسب بل هو أستاذ من أساتذة الكلية، واستاذ كبير يحمل شهادة عالية وقد نشر بجريدة البلاد وفي صفحتها الثالثة قد آثار ما حاولت السكوت عنه وما تركته لغيري يخوض فيه . ذلك لأنه مقال منصف ومقال استاذ وكلمات عالم لا يصح أن يقابل بالسكوت وان يمر بسلام من دون تعليق!سيدي الأستاذ المنصف! إن الجرائد والمجلات الادبية الهزلية في العالم ليست مبتذلة منحطة كما تكرمت ووصفتها به ولا نابية العبارة فارغة من كل مادة كما تفضلت بنعتها بل هي من حيث العموم تعالج المشاكل الاجتماعية بطرق خاصة انتقادية لا غبار عليها . تلك الأساليب البارعة في النكتة واللاذعة في النقد سواء كان ذلك النقد بأسلوب نكتة مسطورة أو عن طريق الصور فهو فن من فنون الجميلة التي يتسابق أصحابه في مضماره وينافس رجال العلم في أن يحظى بنشر صورة (هزلية) لهم أو رواية نكته عنهم لا فرق بين (رجال العلم) ورجال (الدبلوماسية) والفرق بيننا وبينهم يا سيدي المنصف أن الله قد انعم على غيرنا برحابة صدر وتقبل النقد الذي يظهر لهم نواقصهم وأغلاطهم فليس البشر بخال من النواقص ولا بمعصوم عن الأغلاط ومن يدري غير ذلك ابعد الناس عن العلم . هذا وان (رجال العلم) إذا كانوا بعيدين عن تعرض النقاد لهم قد أدوا (رسالتهم) حق الأداء. أما أن يصرح (رجال العلم) على الملأ من طلابهم سواء في قاعة المحاضرات او في اماكن اخرى (بأن النجاح هذا العام سيكون مستحيلاً في الكلية) وانه يجب ألا ينجح غير ٣٠٠ طالب من ١٣٠٠) وان كثرة المتعلمين خطر على البلاد !.. أقول إذا أعاد (رجال العلم) تلك العبارات وكرروها بمناسبة وبدون مناسبة فعلى رجال العلم و (الاساتذة) أن يستعدوا لكل نقد، فليس العلم يوقف على احد ! .. ان تدخل رجال السياسة في عدد الطلاب وتدخلهم في (إخراج النتائج الامتحانية) سببه واضح يا سيدي (المنصف) ذلك أن (الحق) لو كان متبعاً في (الحقوق) في قبول الطلاب وفي نتائج الامتحانات. لماذا تداخل(رجال السياسة) في كل ذلك، اما ان يقبل ابن فلان ويترك من لا نصير له ويحسب ابن بغداد على الديوانية وابن الموصل على البصرة (والادلة كثيرة) والأمر يستوجب تداخل (رجال السياسية فيه) ولا يختلف امر تداخلهم في النتائج عن امر القبول في شيء. ان التعليم العالي الجامعي يا حضرة الأستاذ المنصف لا يفرق بين قبول (الطالبة والطالب) ولا يسد الأبواب بوجه احد يروم الاستفادة والتحصيل وهذه البادرة التي تنعى عليها كان من الواجب ان تفرح بها لانها تدل على خير كثير . ومن قال ان السن يذهب بالذاكرة وان مشاغل الحياة والعائلة تميت الحيوية والنشاط وهل فاتك يا أستاذ أن في بعض جامعات اوربا وامريكا من تجاوزوا السن الخمسين والستين فهل يقول احد أساتذتهم عنهم انهم (لا يحيون حياتين ومن شاب لا يستطيع اعادة صباه بالانتساب إلى كلية الحقوق) كما تفضلت وقلت عن بعض طلابك. ان معظم الذين انتسبوا الى الحقوق هذا العام من النواب وكبار الموظفين والمعلمين .. ولكن أتدري (والحقيقة مرة) ألا يستوجب هنا تدخل (رجال السياسة) والنقد الهزلي المبتذل لأسلوب النابي العبارة)؟ (لا لوم على السياسة أن تقحم نفسها في معاهدة العلم اذا كانت في معاهدة العلم هذه مهازل وأسرار) وهذا هو العيب الكامل في كلية الحقوق.

المراقد والأضرحة في بغداد (مرقد الشيخ سراج الدين)

أ. د. ناهض القيسي

يقَعُ هذا المرقد في جامع سراج الدين بالقرب من محلة الصدرية بالجانب الشرقي من بغداد حيث ذكر المؤرخ خير الدين الزركلي في كتابه الإعلام انه هو محمد بن عبد الله بن المبارك بن محمد بن خزام الواسطي الرفاعي المخزومي البغدادي مفسر، صوفي، محدث، نسابة، ولد بواسط في العراق سنة ٧٩٣ هجرية/ ١٣٩١م ورحل الى الشام ومصر وتوفي الشيخ سراج الدين ببغداد سنة ٨٨٥ هجرية/ ١٤٨٠م.

اشتهر بالمخزومي بسبب إن الأصيلة سعدية بنت الامير عبد الرحمن المخزومي الخالدي صاحب نجد تخرج بصحبته مع جماعة من الاعيان وكان شيخ الاسلام في زمنه وعمل على خدمة العلماء واخذ عنه الصلحاء. كما ذكره احمد بن محمد الوتري الرفاعي في كتابه (روضة الناظرين) بان نسبه يلتقي بالسيد احمد الرفاعي (رض الله عنه) وذكر بانه كان من اكابر الشيوخ وتلقى عنه الكثير علوم الشريعة وألف عدداً من الكتب منها (سلاح المؤمن) حيث جمع فيه الكثير من آثار النبي (صلى الله عليه واله) وأخباره الصحيحة ما ينور القلب الكروب ويصلح العوج. ومن مؤلفاته الاخرى (البيان في تفسير القرآن) و(جلاء القلب الحزين) وهو كتاب في التصوف مملوء باخبار جده السيد احمد الرفاعي (رض) ومن كتبه الاخرى (صحاح الاخبار في نسب السادة الفاطمية الاخيار) وكتاب (رحيق الكوثر) وهو مطبوع. وكانت مكانته في بلاد الشام ومصر كبيرة وأصبح صدر الأمة. وعاد إلى بغداد ومات فيها سنة ٨٨٥هـ ودفن بصدرية بغداد وله اليوم مشهد يزار وقد ذكره المرحوم الدكتور مصطفى جواد في كتابه (دليل خارطة بغداد) بان جامع سراج الدين في محلة منسوبة الى سراج الدين.. والظاهر انه دفن في تربة ابيه بمقبرة الزرادين اي محلة الصدرية. في حين ذكر المرحوم يونس الشيخ ابراهيم السامرائي في مراقد بغداد ص١٤ أن المرحوم الدكتور مصطفى جواد لم يكن موفقاً في نسبة القبر الموجود في جامع سراج الدين الى السيد عمر سراج الدين القزويني المتوفى سنة ٦٨٣ هجرية ويذكر الأستاذ السامرائي: (وأنا واثق لو ان المرحوم الدكتور جواد كان قد اطلع على المصادر التي ذكر السامرائي وخاصة كتاب (روضة الناظرين) الذي يؤرخ للسادة الرفاعية لعدل عن رأيه. واليوم يعرفونه أهل بغداد بـ(سراج الدين الرفاعي).

(رحم الله الشيخ سراج الدين الرفاعي (عن الشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائي: مراقد بغداد).

مرقد الامام احمد بن حنبل (رضى الله عنه)

يقعُ هذا المرقد في منطقة الحيدرخانة ببغداد في مسجد عارف اغا الواقع بالقرب من جامع حسن باشا وقد كتب عليه انه (قبر الامام احمد بن حنبل) وهو الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل بن هلال بن اسد بن ادريس الشيباني المروزي ثم البغدادي الحافظ. وقد ورد في تاريخ ابن خلكان (وفيات الاعيان) انه ولد سنة ١٦٤ هجرية في شهر ربيع الاول بمرو وقيل ببغداد، ونشأ ببغداد واضاف ابن خلكان ان الامام احمد بن حنبل كان امام المحدثين وكان من اصحاب الشافعي وخواصه (رض) وظل مرافقا له الى ان ارتحل الشافعي الى مصر وكان الشيخ الامام احمد بن حنبل اسمر اللون مديد القامة وكان كثير الصلاة والعبادة وحج خمس مرات وامتحن احمد بالقول في خلق القرآن فأبا ان يقول ذلك ثم سجن وعذب فكان اصبر الناس وكان عالما عارفا تقيا ورعا وقد عاش الامام احمد بن حنبل (رض) سبعا وسبعين سنة ومات سنة ٢٤١ هجرية ودفن بمقبرة باب حرب وهذا ما اكده العديد من المؤرخين منهم الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وياقوت الحموي وابن الجوزي في المنتظم وان باب حرب هو الريض الواقع شمال غرب الكاظمية الحالية، ويبدو حين فيضان نهر دجلة سنة ١٩٣٧م نقلت رفات الامام احمد بن حنبل (رض) الى مسجد عارف انما وهو ما هو معروف اليوم.

رحم الله الامام احمد بن حنبل (رض الله عليه).

(عن الشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائي: مراقد بغداد)

قد حلا نظمي ورق الغزل

الغناء والموسيقى في بغداد الخمسينيات

خالص عزمي
من رواد الصحافة العراقية

في بداية القرن الماضي؛ ومع أن اغلب المطربين تعلم بدايات القراءة والكتابة والخط في الكتاتيب ويستمع إلى تلاوة الذكر الحكيم على أنغام مقامات الماهوري والمخالف والحويزاوي والبهيرزاوي ... الخ؛ إلا أنهم كانوا يجهلون ابسط قواعد اللغة العربية؛ كما كانوا يجهلون أكثر معاني الأبيات الشعرية التي يرددونها أثناء الغناء أو الإنشاد؛ أما بسبب أميتهم؛ أو لان الزمن الذي ترعرعوا فيه كان لا يمنحهم الفرصة لتعلم لغتهم الأم بالطرق المؤصلة؛ ولذلك كانت قراءاتهم الشعرية كبداية لبعض المقامات ؛ كالرست والاوج والدشت والاوشار والبيات و الطاهر ؛ والخلوتي والنهاوند والأرواح ؛ تعج بالأخطاء ويزدحم فيها التداخل في الكلمات والتعابير مع التشابك الصوتي بنطق الألفاظ بحيث يؤدي كل ذلك إلى الإبهام والغموض وبالتالي يجعل المستمع ضائعا في متاهات تمنعه من استيعاب ما يردده القارئ من شعر .

ومنذ أوائل الثلاثينيات وما أعقبها شعر بعض المطربين وهم يواصلون تطورهم وتقدمهم في مجال الغناء والموسيقى والكلمة المنتقاة لتعبر عما يريدون إبرازه بإحساس صادق عن المعاني التي يرتاح لها جمهور المتلقين؛ أنهم بحاجة ماسة إلى الاقتراب أكثر من الشعراء والأدباء؛ لكي تتاح لهم فرصة التعرف على ألوان من القصيد والغوص في مفهوم المفردات وقواعد اللغة في مختلف أبوابها؛ ذلك لان الاكتفاء بدائرة (الشاعر والملحن والمطرب) دون الاستعانة بآخرين من المختصين الذين حباهم الله موهبة الموسوعية الفائضة في هذا المجال؛ إنما يغلق تلك الدائرة على نفسها ويعرضها إلى الخطأ المحتمل أو التكرار الممل؛ وكان في طليعة هذه الكوكبة رائد المقام العراقي الأستاذ محمد الكبنجي؛ حيث لاحظ في تلك الفترة بالذات؛ أن عليه التعمق بدراسة بعض قواعد النحو والصرف والبلاغة ومعاني المفردات؛ فكان أن أفاد من مجالسة كبار الشعراء والأدباء وفصحاء اللغة وأخذ عنهم الكثير من الإرشاد والتوجيه ؛ وبهذه الطريقة استطاع أن يتألق في اختيار الشعر و يتفادى في ذات القوت مواطن الخطأ في الإلقاء إلى حد بعيد ؛ وكان من ابرز تلك الكوكبة التي استعان بها ؛ معروف الرصافي وبهجت الأثري وعلي الخطيب وعبد الرحمن البناء واحمد حامد الصراف وجلال الحنفي وعبد الكريم العلاف ...الخ . ولعل لافتتاح الاذاعة العراقية ثم اذاعة قصر الزهور الدور المهم في جمع شمل الشعراء والادباء والملحنين والمطربين الى بعضهم البعض ؛ فأفاد الجميع من هذا التقارب العفوي ايما فائدة ؛ وبخاصة الأسلوب الأصح في تفهم مخارج الألفاظ ونطق الحروف والتوقف كثيرا عند انتقاء القصائد الملائمة طبقا لقاعدة لكل مقام مقال . ولعل للعلامة الشيخ جلال الحنفي تلك الشخصية الموسوعية متعددة المواهب الدور الرئيس في دفع العديد من مطربي المرحلة الثانية الى عوالم لغوية وشعرية أعطتهم الفرصة لكي يطوروا قابلياتهم ويصححوا مسار قراءاتهم .

كما لابد لنا من الإشارة إلى تأثر شعراء الأغنية المكتوبة باللهجة الدارجة ؛ حيث ظهرت لهم مجموعة من الأغنيات التي كانت تقترب كثيرا من اللغة الفصيحة في جوهر تعبيرها وكان في مقدمة هؤلاء بداية الشاعر الشعبي الكبير الملا عبود الكرخي بقصائده (المجرشة ؛ وشنهو السبب تنسوني ؛ ويا ولد يابو السدارة ؛ نور بوجنتك لو نار ؛ روحي سلبها نعمان ... الخ) و عبد الكريم العلاف ؛ الذي عرف بقصائدة الفصيحة واغانيه الدارجة ايضا حيث قدم نماذج رفيعة من الاغنيات ذات الخيال الواسع واللغة الاقرب الى الفصحى ؛ تلك الاغاني التي دخلت التاريخ وما زالت حية الى يومنا هذا كأغنيات (يا نبعة الريحان ؛ كلبك صخر جلمود ؛ الهجر مو عادة غريبة ؛ على شواطي دجلة مر ؛ ما اكدر اكولن آه ...الخ) ؛ كما ان المطربات البارزات من امثال منيرة الهوزوز؛ وسليمة مراد ونرجس شوقي وعفيفة اسكندر ... الخ كن يتغنين بقصائد مشهورة من الشعر الرقيق الفصيح مثل (ان شكوت الهوى فلا انت منا ؛ وياحلو يا اسمر غنى بك السمر ؛ وايها الساقي اليك المشتكى ؛ وقيل لي قد تبدلا ؛ ويعاهدني لا خانني ثم ينكث ؛ ويا عاقد الحاجبين ... الخ).

وما كادت فترة الزمن التي تهادت ما بين الأربعينيات ـ والخمسينات تطل بعدئذ ببشائرها المتألقة في شتى أنواع المعرفة؛ حتى كان للمطربين والملحنين والشعراء دورهم في شد الأواصر بصيغة برزت بشكل جلي في كثير من الأعمال التي قدمها شباب تلك الأيام؛ كيوسف عمر؛ وعبد الرحمن خضر؛ وناظم الغزالي؛ ورضا علي؛ ويحيى حمدي ؛ ومحمد كريم ؛ وعباس جميل ؛ ومحمد عبد المحسن ؛ وكان للشعراء والأدباء أثرهم في صقل ذائقة أولئك الفنانين والارتفاع بكفاءاتهم اللغوية والبلاغية إلى مستويات أهلتهم الى ولوج الوسط الثقافي و الى التقرب أكثر من عوالم المعرفة بشكل عام .

إن الذين عاشوا تلك الحقبة الزمنية يتذكرون جيدا مدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط أولئك المطربين بعدد كبير من صفوة تلك النخبة الفذة ؛ من أمثال الشعراء عبد الكريم العلاف ؛و أنور شاؤل ؛ وعبد الستار القره غولي ؛ و عبد القادر رشيد الناصري ؛ وعبد المجيد الملا ؛ وعلي الفراتي ؛ ومحمود المعروف ؛ ومكي عزيز ؛ وعبد الصاحب الملائكة ؛ وخالد الشواف ؛ وخاشع الراوي ؛ ومهدي مقلد؛ وصفاء الحيدري؛ وحسين مردان وكذلك مع شعراء الاغنية كجبوري النجار ؛ وسبتي طاهر ؛ وسيف الدين ولائي ؛ وجودت التميمي ؛ ثم مظفر النواب ؛ وزاهد محمد ؛ وزهير الدجيلي ... الخ كما كان لبعض المذيعين توجيههم المؤثر على كثير من المطربين ؛ وكان في مقدمة اولئك المذيعين ؛محمد علي كريم ؛ وناظم بطرس ؛ وموحان طاغي ؛ وحافظ القباني ؛ وسعاد الهرمزي ؛ وصبيحة المدرس ؛ ناهيك عن عدد كبير من الصحفيين الذين مدوا يد التعاون مع المطربين البارزين ؛ كروفائيل بطي ؛ ورزوق غنام ؛ وخالد الدرة ؛ ويحيى قاسم ؛ ومجيب حسون ؛ وعبد القادر البراك ؛ وسجاد الغازي ؛ وصادق الازدي ؛ وصبيح الغافقي ؛ وعبد المنعم الجادر ؛ وشاكر الجاكري ؛ وناصر جرجيس ؛ وشاكر علي التكريتي ؛ وغازي العياش ؛ واحسان وهيب .... وغيرهم ...

وكما كانت الإذاعة موئلا لهذا الترابط المتين ؛ كان لفرقة الموشحات بقيادة الموسيقار والباحث الحلبي الكبير علي الدرويش ومن ثم الموسيقار روحي الخماش ؛ دورا بارزا في تقويم السنة أعضائها الذين كانوا يشنفون الأسماع بأرقى القصائد واعذب الالحان والذين أصبح من بينهم عدد من المطربين المعروفين حسني النطق سليمي التعبير أنيقي الاختيار الشعري .

هنا أورد امثلة واقعية لمستها بنفسي عن ذلك التعاون البناء بين اقطاب ركائز الغناء الاساسية : (الكلمات واللحن والغناء) في تلك الفترة الزاهرة التي واكبتها :

الاول : يختص بذلك التجمع الذي دعا اليه الفنانان الكبيران محمد القبنجي وحقي الشبلي يعاونهما الشاعر عبد المجيد الملا والذي يدعو الى التعاون وشد الأصرة ؛ وذلك عن طريق لقاءات مكثفة ما بين رموز الشعر والادب ؛ والموسيقا ؛ والغناء ؛ فكان ان التأم الشمل مع بعض تلك الرموز على سطح جمعية الموسيقيين في الحيدرخانة في صيف عام ١٩٥١ ؛ والذي أكدته صورة فريدة التقطت في حينه تمثل اللقاء الاول .

الثاني . وكما المحت اعلاه ؛ كان كثير من المطربين يعتمدون على بعض الشعراء والادباء في تقويم سلامة النطق الشعري ؛ وانتقاء الابيات التي تتلائم مع المقامات او الالحان ؛ ومن ذلك فان الفنان ناظم الغزالي كان يعتمد اعتمادا مباشرا على اثنين من الشعراء اللذين كانا يعملان في امانة العاصمة وهما العروضي واللغوي المعروف عبد المجيد الملا (والذي كان هونفسه يكتب ايضا كلمات الاغاني بالفصحىاو باللغة الدراجة لبعض المطربين والمطربات) ؛ و الشاعر الرومانسي الرقيق عبد القادر رشيد الناصري ؛ (وقد شرحت تفاصيل ذلك في محاضرتي الواسعة عن ناظم الغزالي و التي القيتها في فينا في المنتدى الثقافي الذي عقد في مقهى نيل وقدم لها الاكاديمي والباحث المعروف الدكتور زهير المخ).

الثالث . نموذج من الحوارات البناءة :

في نهاية الاربعينيات كانت مقهى الخراز (او عبدالله ابو ماشة) في محلة جامع عطا من جانب الكرخ ؛ والمعروفة بسعتها وجنينتها التي تتوسط باحتها الصيفية ؛ ملتقى بعض الشعراء والمطربين وقراء المولود النبوي والمقامات ... عصر ايام الخميس و كلما كان ذلك متاحا ؛ وكان من بين هذه الصفوة ؛ الشعراء خضر الطائي ؛ وخليل الخشالي ؛ وعبد المجيد الملا ؛ وعلي الشجيري ؛ وجبوري النجار ؛ وعبد الصاحب الملائكة ؛ وبسيم الذويب... وغيرهم اما من المجموعة الثانية ؛ فكان عبد المنعم ابو السعد ؛ وعبد الفتاح معروف ؛ وعبد المنعم السيد علي ؛ وحسن خيوكة ؛ ومجيد العاني .... وآخرين ؛ و في ذات مرة قال المطرب الكبير حسن خيوكة انه اتفق مع الموسيقار جميل بشير وفرقته (التي كانت مكونة يومها من منير بشير ؛ وخضير الشبلي ؛ وخضر الياس ؛ وحسين عبدالله ... الخ) على مرافقته في قراءة وتسجيل بعض المقامات ؛ ثم راح يقرا بعض الابيات الشعرية التي سيبدأ بها بعض مقاماته التي تتطلب مثل هذا النهج كما اسلفت ؛ ومن جملة تنويعاته قرأ الابيات التالية :

قد علا نظمي ورق الغزل في هوى قوم بقلبي نزلوا

ثم قال : هناك لغط بين بعض الشعراء وقراء المقام حول هذا المطلع ؛ اذ يقول البعض ان المعنى لا يستقيم على هذا النحو ؛ في حين ان البعض الآخر يقول ؛ بل يجب ان يقرأ هكذا لان القراء القدامى في العشرينات قرأوه بهذا النص ؛ فما هو رأيكم ؟! هنا رد خضر الطائي قائلا : هذا المطلع غريب وغير متوزان في تناسقه : اننا نعرف ان صفة العلو في طبقة الشعر تصاحب الفحولة و الجزالة في الالفاظ ؛ وعلى هذا : فان الاصح ان تقول(قد حلا) حتى لو كان الشاعر قد كتبها (قد علا) ؛ اذ ان التناسق في المعنى يستوجب تقارب الحلاوة مع الرقة .

هنا أيده في هذا الاتجاه بقية زملائه من الشعراء .

اما الشا عر الضابط بسيم الذويب فقد أثار موضوعا آخر حينما قال ؛ وانا ارى ان قول الشاعر في عجز البيت (في هوى) غير مطابقة لواقع الحال ؛ اذ يتوجب ان تكون (من هوى) اذ ان رقة الغزل انما جاءت لسبب حدد بموضوع واحد هو ان (هوى الحبيب قد حل في القلب) فأستدعى الوصف ؛ فرد عليه عبد المجيد الملا قائلا ؛ كلا انا ارى ان(في هوى) اصح ؛ ذلك لان الشاعر لم يرد تبرير سبب حلاوة النظم وانما اراد تقرير الحقيقة المقصودة و هي مختصة في هوى الحبيب ؛ اذ لولم يحل في القلب لما كان لها ان تكون بتلك الحلاوة والرقة ولتحولت الى (كلبك صخر جلمود)

هكذا كانت الحال في الماضي سجال ونقاش وحوار بين ارباب القلم واساطين الموسيقى والغناء ؛ لهدف نبيل يرمي الى التعاون البناء من اجل ان يكون الغناء في المستوى اللائق بتراثه الباذخ العريق.

سليمة مراد

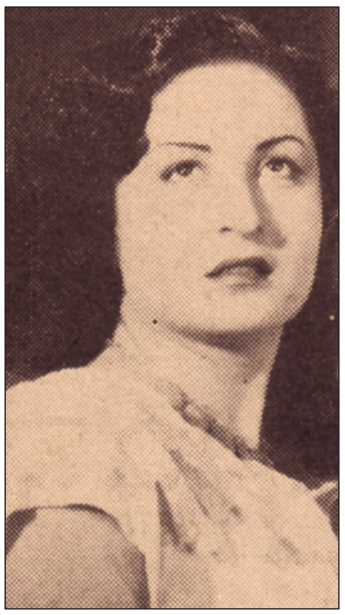
عفيفة سكندر

ناظم الغزالي

إن الذين عاشوا تلك الحقبة الزمنية يتذكرون جيدا مدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط أولئك المطربين بعدد كبير من صفوة تلك النخبة الفذة ؛ من أمثال الشعراء عبد الكريم العلاف ؛و أنور شاؤل ؛ وعبد الستار القره غولي ؛ و عبد القادر رشيد الناصري ؛ وعبد المجيد الملا ؛ وعلي الفراتي ؛ ومحمود المعروف ؛ ومكي عزيز

صنعت الملوك.. وماتت ودفنت في بغداد

خاتون بغداد

من سيرة جرترود بيل

فخري الوصيف

ها هو فيصل يقفز على أكتافنا. عبارة قصيرة أرسلتها جرترود بيل Gertrude Bell الى صديقين من المبشرين الأمريكيين كانا يقيمان في البصرة، يوم الأحد ١٤ أغسطس/آب سنة ١٩٢١، اليوم الذي تم فيه اختيار فيصل بن الشريف حسين ملكاً على العراق في استفتاء عام. جملة موجزة تعني الكثير. من جهة، مولد الدولة العراقية بحدودها الدولية الحالية؛ ومن جهة ثانية، تتويج للجهود البريطانية التي بذلت من أجل إقامة مملكة عربية تضمن الولايات العثمانية السابقة في بلاد الرافدين: البصرة وبغداد والموصل، وتدين بالتبعية للتاج البريطاني؛ ومن جهة ثالثة، ذروة نجاح النشاط السياسي والجاسوسي للآنسة البريطانية جرترود بيل التي وصفت حينئذ بأنها "ملكة العراق غير المتوجة". كما كانت تُعرف بـ"الخاتون"، وهي تسمية اشتهرت بها حتى بين البريطانيين المقيمين بالعراق، ولم يكن يقصد بها فقط "السيدة"، أو "الست"، كما كان يحلو لبعض العراقيين أن يناديها، بل أيضاً سيدة البلاط التي تحتفظ بعيونها وآذانها مفتوحة من أجل صالح السلطة القائمة. كما أطلق عليها بعض ظرفاء العراقيين "أم المؤمنين"، وهي فيما يبدو أخذت هذه التسمية على محمل الجد وكانت فخورة بها على ما يتضح من خطاب أرسلته لأبيها بهذا الشأن.

جرترود بيل (١٨٦٨-١٩٢٦) شخصية مثيرة للجدل، فهي لبعض العرب صديقة كريمة، حتى أن الملك فيصل كان يصفها بأنها أخت عزيزة، وللبعض الآخر استعمارية بغيضة وتمثل الرمز الكريه للإمبريالية البريطانية؛ ولبعض البريطانيين الذين عملوا معها امرأة دساسة فضولية، ومتغطرسة مستبدة، بل وخائنة لأنها كانت تدين بولائها للعرب، وللبعض الآخر ذكية شجاعة وضليعة في شؤون الشرق العربي. والحقيقة أنّ حياة الخاتون المثيرة، والمؤثرة في تاريخ العراق، تتسع لكل هذه الآراء رغم قصر عمرها الزمني نسبياً (حوالي ٥٨ سنة). وهذا ما تجليه سيرتها التي لاقت اهتمام بعض الكتّاب الغربيين مثل الكاتبة الأمريكية المهتمة بالشرق الأوسط جانيت والش Janet Wallach، فوضعت عنها كتاباً بعنوان Desert Queen: The Extraordinary Life of Gertrude Bell: Adventurer, Advisor to Kings, Ally of Lawrence of Arabia

صدرت الطبعة الاولى عن دار نشر Nan. A. Talese- نيويورك ١٩٩٦). ونال الكتاب نجاحا صيبا فطبع طبعة ثانية عن دار نشر Anchor Books نيويورك ١٩٩٩)، وترجم الى عدة لغات عالمية. والكتاب يتميز بقدر كبير من المصداقية لأنه اعتمد على اليوميات الخاصة لصاحبة السيرة، وعلى قدر هائل من خطاباتها الشخصية، فضلا عن مذكرات لشخصيات معروفة وعلى أوراق سرية، بالإضافة الى الكثير من المراجع الخاصة بتاريخ العراق والشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى والسنوات التالية لها. من الاستشراق الى الجاسوسية: من باب الاستشراق دخلت الآنسة بيل الى الشرق العربي، ومنه دلفت الى بلاد الرافدين لتلعب دوراً تاريخياً في مستقبله. فمن المعروف أن الاستشراق قد قدم خدمات هائلة الى الاستعمار الأوربي في القرنين الفائتين، ولا يزال، على المستوى الكاديمي بجمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها ودراستها، وعلى المستوى السياسي والجاسوسي، بأن يكلف بعض المستشرقين بأعمال سياسية وجاسوسية مباشرة. ومن هؤلاء جروترود بيل، وزميلها توماس إدوارد لورنس الشهير بلورنس العرب، وعالم الآثار المعروف المستشرق ديفيد هوغارث، الذي أصبح بعد الرئيس الواحد والعشرين للجمعية الملكية الجغرافية البريطانية. وعلى هذا الأخير تعرفت جرترود في مطلع شبابها عن طريق أخته جانيت هوغارث، صديقتها وزميلتها في جامعة أكسفورد. وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى في يوليو/تموز-أغسطس/آب ١٩١٤ كان هوغارث يعمل ضمن مجموعة محدودة من الآثاريين والمستشرقين والصحفيين في مكتب الاستخبارات العسكرية الإنجليزية في القاهرة، المكتب العربي فيما بعد، وألح على رؤسائه في القاهرة ولندن على تجنيد جرترود للعمل معه، وحينما تمت الموافقة على طلبه أرسل إليها خطاباً بهذا الشأن في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٥، وهذه قبلت بسعادة، ووصلت الى القاهرة مساء الجمعة ٢٦ نوفمبر ١٩١٥، وكان في استقبالها هوغارث ومساعده لورنس، وفي اليوم التالي ذهبت الى مقر عملها الجديد الكائن حينئذ في فندق سافواي. حقيقة كانت العملية البريطانية الجديدة في مطلع خريف العمر (٤٧ سنة) عندما ب>ات العمل رسميا مع الاستخبارات البريطانية، ولكنها لم تكن حديثة العهد بالشرق الأدنى والاستشراق. فقد عملت في هذا الحقل على مدى ربع قرن، وحققت قدرا طيباً من الشهرة كمؤلفة وآثارية ورحالة. وكان أول كتاب نشرته ترجمة لمختارات من شعر حافظ، تلاه عدد من الكتب مثل "الصحراء والمدر"، و"الإسلام في الهند"، و"الف كنيسة وكنيسة" بالاشتراك مع عالم الآثار سير ويليام رمزي، و"من وإلى عمورية"، الى جانب العديد من المقالات والأبحاث التي نشرت في صحف ومجلات شهيرة مثل التايمز والملحق الأدبي للتايمز ومجلة الآثار ومجلة بلاك وودز. ولكن الكثر إثارة في مسيرتها كان مجموعة الرحلات التي قامت بها فيما بين سنتي ١٩٠٠ و١٩١٤ في بادية الشام وصحراء النفود، فكانت أول امرأة أوربية تصل الى هذه الأماكن. فضلا عن ذلك قامت بأسفار الى تركيا وإيران والهند. حرصت جرترود في كل أسفارها أن تسجل في يومياتها كل ما تشاهده وتلاحظه وتقابله من بشر وحيوان ونبات وأماكن وأحداث وآراء، وكانت ترسل الكثير من ذلك الى صديقها الصحفي المعروف بالتايمز فالنتين شيرول او دمنل، والذي كان في ذات الوقت يعمل لحساب وزارة الخارجية البريطانية، وإلى أبيها سير توماس هيو بيل أحد كبار رجال الصناعة، والذي كان بدوره على صلة وثيقة بالطبقة الحاكمة البريطانية. أي أنها كانت بشكل غير مباشر مصدراً من مصادر المعلومات عن الشرق الأدنى للحكومة البريطانية. ومن المرجح أن جرترود كان لديها ميل طبيعي الى الإخبار والاستخبار. فكونها مؤرخة، محبة للتاريخ دارسة له، كانت تشارك غالبية المؤرخين غريزة الفضول والتقصي. بيد أنها لم تقتصر مثل الأكثرية على الدرس والكتابة فحسب، بل كانت حريصة على نقل الخبر او المعلومة الى الآخرين، والآخرون ليسوا بأناس عاديين، اذ كانوا نخبة من دوائر السلطة وصنع القرار، ولم يكن الخبر مرتبطا فقط بموضوعات ثقافية أو تاريخية بحتة، بل أيضاً عن موضوعات سياسية تعلم مدى أهميتها. وكانت في نقلها المعلومات أشبه بآلة تصوير لاقطة لأدق التفاصيل إلى درجة النقل الحرفي حتى أنها كانت أحيانا مثار سخرية زملائها. فيُحكى أنها عندما كانت في بغداد متولية منصب السكرتير الشرقي كانت تتحدث مع شيخ قبيلة حضر إلى مكتبها ضمن وفد من شيوخ القبائل، فسألته عن الأحوال، فقال لها: "تعوي الريح"، وما أن خرج الرجل حتى ذهبت تعدو إلى رئيسها سير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني لتخبره بقالة الإعرابي وكأنتها تنقل إليه إحدى تنبؤات الطقس، فصارت متداولة بين زملائها الضباط البريطانيين في بغداد. كما كانت رغبة جرترود عارمة منذ مبتدأ وعيها وعلى مدى حياتها في إثبات وجودها الفاعل واقتلاع اعتراف أفذاذ الرجال بها كشخص ذكي متميز بغض النظر عن جنسها كامرأة، وذلك إبان العصر الفيكتوري المتزمت، الذي ولدت فيه وترعرعت، والذي كانت تحتل فيه المرأة مكاناً ضئيلاً في الحياة العامة مقارنة بالرجل، فعلى سبيل المثال كانت مناصب الإدارة العليا والعمل الدبلوماسي والجيش حكراً على الرجال. وحاولت جرترود منذ صباها كسر الطوق الأنثوي الفيكتوري، وبدأته بالحصول على الإجازة

الجامعية في التاريخ الحديث، فكانت أول امرأة تنالها من جامعة أكسفورد. وتتوالى المحاولات، فكانت أيضاً أول امرأة بريطانية تتوغل في الصحراء العربية بمفردها ولعدة مرات، وتعرضت خلالها لأخطار كثيرة منها بقاؤها أسيرة في حائل، حاضرة بني رشيد، قرابة أسبوعين (٢٤ فبراير/شباط–٨ مارس/آذار ١٩١٤). وثمة شواهد أخرى كثيرة على شخصيتها المتحدية، ولكن أكثر ما يعنينا في هذا المقام أن ميدان الإخبار والاستخبار القائم على المعرفة (اللغات والتاريخ والجغرافيا والآثار) والمغامرة (الرحلة) والعلاقات الشخصية كان الميدان الذي اصطنعته جرترود لتؤكد تفوقها كإنسان في المقام الأول. واهتمت جرترود كثيراً بنسج شبكة من العلاقات، كان خيطها الأول بطبيعة الحال طبقتها البرجوازية العليا، فتعرفت على شخصيات مهمة في عالم السياسة والدبلوماسية والاستشراق، فعن طريق أبيها تعرفت على اللورد كرومر واسكويث وغيرهما. كما أنها اتصلت بالحياة الدبلوماسية عن طريق زوجة أبيها فلورنس التي كانت أختها ماري متزوجة بالدبلوماسي فرانك لازسيلز. ففي بيته ببوخارست عندما كان سفيرا لبريطانيا في رومانيا تعرفت على صديقها الصحفي شيرول المشار إليه آنفاً، وعلى الدبلوماسي تشارلز هارينغ، الذي تولى منصب نائب الملك في الهند فيما بعد. وعندما انتقل عمها فرانك إلى طهران سفيراً لبريطانيا قضت في منزله شهراً كاملاً، وتعرفت بالمستشرق الألماني فريدرش روسن الذي كان يعمل حينئذ مستشارا اقتصادياً بالسفارة الألمانية، وشجعها على دراسة اللغة العربية، وعندما حمله عمله الدبلوماسي إلى القدس استضافها في بيته في أواخر سنة ١٨٩٩ حيثبدأت من هنالك أولى رحلاتها سنة ١٩٠٠، فتوغلت في صحراء شرق الأردن، ومنها صعدت إلى جبل الدروز ثم دمشق. وفي سفرتها بصحبة أبيها وأخيها إلى الهند سنة ١٩٠٢ التقت هناك سير برسي كوكس، القنصل البريطاني حينئذ في مسقط وكبير المندوبين البريطانيين في الخليج، وكان لهذا اللقاء أبعد الأثر في حياة الآنسة بيل، فحديثه عن أكبر زعيمين في وسط شبه جزيرة العرب: ابن رشيد من قبيلة شمر وعبد العزيز آل سعود من قبيلة عنيزة أثار فضولها ورغبتها في لقائهما واكتشاف هذه المنطقة، كما أن برسي كوكس سيصبح فيما بعد رئيسها المباشر في العراق ومعه ستشارك بشكل فعال في مستقبل العراق السياسي. وفي رحلتها الثانية إلى بادية الشام وآسيا الصغرى ١٩٠٥، والتي بدأتها أيضاً من القدس التقت اللورد مارك سايسك في منزل القنصل البريطاني بالقدس، وسايكس مع زميله الفرنسي جورج بيكو هما صانعا الاتفاقية المعروفة باسمهما، والتي بمقتضاها اقتسمت إنجلترا وفرنسا كعكعة الشرق العربي بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى. كان اللقاء ودوداً في الظاهر، ولكن مراسلاتهما الشخصية تثبت ضيق كل منهما من الآخر، واختلافهما الفكري خاصة في نظرتهما إلى العرب. وفي نهاية رحلتها تلك تعرفت على المستشرق الفرنسي المعروف رينيه ديسو الذي تحدث معها عن البقايا الأثرية المحتمل وجودها في نجد فأثار فضولها ورغبتها في الذهاب إلى هناك، وكذلك تعرفت في قونية على الأثري المعروف ويليام رمزي الذي تعاونت معه بعد عامين في حفائر أثرية بتركيا واشتركت معه في وضع كتاب "ألف كنيسة وكنيسة". وفي الفترة نفسها ، وبالتحديد سنة ١٩٠٧، تعرفت على ريتشارد دوتي–ويلي، الدبلوماسي البريطاني في قونية ثم في اسطنبول، والذي كانت تتبادل معه المعلومات. وفي رحلتها الثالثة سنة ١٩١١، التي انطلقت فيها من دمشق إلى أعالي الفرات، فجنوباً إلى النجف، ثم شمالا مرة أخرى باتجاه الفرات، توجهت إلى قرقميش (حالياً جرابلس في أقصى شمال سوريا) يوم ١٩ مايو/آيار للاطلاع على الحفائر التي كان يشرف عليها صديقها هوغارث في تلك المنطقة لحساب المتحف البريطاني، وهناك تعرفت على مساعديه الشابين: كامبل تومسون، الذي سيصبح فيما بعد أحد زملائها في بغداد، ولورنس ذائع الصيت لاحقاً. والمثير أنهما إلى جانب عملهما في الحفائر كانا يضطلعان بنشاط استخباري يتمثل في تقديم معلومات عن الألمان الذين كانوا يعملون في أحد مواقع إنشاءات الخط الحديدي برلين–بغداد على بعد ٥٠٠ متر من منطقة الحفائر. وأيضاً تعرفت جرترود خلال رحلاتها الأربع في الصحراء العربية على بعض الأعيان العرب مثل نقيب بغداد عبد الرحمن الكيلاني، الذي التقته مرتين، وعلى عدد من شيوخ القبائل التي مرت بمنازلها مثل عجيل والحويطات وشمر وعنيزة، وعقدت صداقة خاصة مع بعضهم مثل فهد بك بن هذّال، شيخ عنيزة بالعراق، والذي كان من حلفاء البريطانيين. معرفتها المباشرة والعميقة بأرض وسكان وتاريخ منطقة الشرق العربي، بالإضافة إلى دراستها الأكاديمية، جعل منها مرجعية معترفاً بها في شؤون هذه المنطقة، كما أن علاقاتها الوثيقة بمراكز الحكم والقرار في بريطانيا صيّرها مصدراً مهما وموثوقاً به للأخبار والمعلومات، بيد أنها كانت مصدراً تطوعياً،فلم تطلب منها الحكومة البريطانية رسميا أية مساعدة حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى في يوليو/تموز–أغسطس/آب سنة ١٩١٤. فقد أدى تحالف الأتراك مع الألمان في الجبهة الشرقية إلى إثارة قلق البريطانيين على طرقهم التجارية إلى الهند وعلى آبار النفط الإيرانية في الخليج ومصفاة النفط في عبدان، وأخذوا في إعداد العدة لحماية مصالحهم في الشرق والتفكير في الاستعانة بالعرب بتأليبهم على الأتراك. وهنا ازدادت الحاجة إلى طلب المساعدة من العارفين بالشرق العربي، ومنهم الآنسة بيل، وهذه لم تتأخر في تزويد الحكومة بمعلومات طازجة من واقع رحلتها الأخيرة عن القبائل العربية وضعف سيطرة الحكومة العثمانية عليها. وفي ٥ سبتمبر/أيلول ١٩١٤ أرسلت تقريراً مفصلاً عن الأوضاع في الشرق الأدنى إلى مدير العمليات العسكرية في القاهرة، والذي بدوره أرسله في الحالة إلى وزير الخارجية سير إدوارد غراي. ومما جاء في هذا التقرير قولها إن "أهل الشام، خاصة في الجنوب، حيث أنهم مطلعون بشكل أفضل على الازدهار المصري، مولون للبريطانيين لأقصى حد. ففي الشتاء الماضي أخبرني صديق ألماني قديم اسمه لويتفد، وهو شخص ذكي جداً وموجود الآن في حيفا، إن ليس من قبيل المبالغة القول بأن الرغبة الحقيقية لأهل الشام هي أن يكونوا تحت الإشراف الإنجليزي، وأنا أصدّقه". أما في العراق، "فأعتقد بوجه عام أنهم لا يودون أن ندخل الحرب ضد تركيا، فهم لن يشاركوا فيها بشكل إيجابي. وبغض النظر عن ذلك، فإنه من المحتمل أن يوجّه الأتراك اهتمامهم إلى استمالة الزعماء العرب الذين يعتمدون على حمايتنا، ولكن مثل هذا العمل لن يحظى بالقبول بين الوحدويين العرب الذين يعتبرون شيخ الكويت والسيد طالب وابن سعود زعماء أقوياء مناصرين للوحدة العربية". ومع ذلك، فالزعيم الشيعي السيد طالب، نجل نقيب البصرة، من وجهة نظرها، شخص مراوغ ولا يهمه غير المال، "وهو وإن لم يتلق منّا مساعدة مالية فإن رجالنا التجار يحتفظون بعلاقة طيبة معه"؛ وشيخ الكويت "يعتمد على مساعدتنا"؛ "وابن سعود مهتم أكثر بتلقي اعترافنا النهائي به، وسيكون من السهولة أن نجعله حليفا لنا". وتُجمل تقريرها بقولها "أعتقد أننا يمكن أن نسبب للأتراك كثير من المشاكل في الخليج". كما أشارت بتنظيم ثورة عربية ضد الأتراك. وأمام الجزع على الوضع البريطاني في الشرق العربي، استعد الجيش البريطاني في مصر لمواجهة هجوم تركي محتمل علىقناةالسويس، وهو ما حدث بالفعل في فبراير/شباط ١٩١٥، ولكنه فشل. وتقدم أسطولبريطاني كبير قادم من الهند إلى العراق واحتل البصرة في ٢٢ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٤. وإلى جانب النشاط العسكري البريطاني كانت السياسة البريطانية تُعدّ للثورة العربية ضد الحكم العثماني انطلاقاً من الحجاز. وفي هذا الإطار، في منتصف مارس/آذار ١٩١٥ طلبت وزارة الحرب البريطانية من جرترود أن تقدم لها خرطائها غير المنشورة عن بلاد الشام، كما دُعيت لإعطاء المزيد من المعلومات عن الشرق العربي إلى الموظفين الإنجليز. وفي نوفمبر ١٩١٥ طلب منها إعداد خرائط تفصيلية عن شمال بلاد العرب. وفي نفس الشهر انضمت إلى المكتب العربي بالقاهرة. وكان عملا طالما تمنته، فهو سينقلها من الهواية إلى الاحتراف، ومن الإعجاب بقدراتها إلى الاعتراف الرسمي بها، ومن الملاحظة المحدودة لأحوال المشرق إلى الانخراط الفعلي والمتابعة اللصيقة، ثم إنه سيوفر ما كانت تنفقه من مالها الخاص ومال أسرتها على رحلاتها بما ستحصل عليها من راتب، كما سيجعل منها موظفة بريطانية وأول امرأة في جهاز المخابرات البريطانية في الشرق الأدنى، وأخيراً سيبعدها عن بلدها فتنسى وفاة حبيبها دوتي–ويلي الذي قتل في موقعة غاليبولي ١٩١٤ مبتدأ الحرب العالمية الأولى. من القاهرة إلى البصرة مروراً بدلهي: تعد العقيدة الاستعمارية من المكونات الأساسية في فكر جرترود، وهو اعتقاد قوي سيطرعلى فكرها وعملها، ولم يتغير على مدى حياتها. فهي مثل غالبية وسطها الاجتماعي كانت ترى أن السيطرة البريطانية العالمية عملنبيل وحتمي من أجل صالح الشعوب الأقل حظا: ثروة وحضارة، وأن البريطانيين ولدوا لتكون مهمتهم الأولى الأخذ بيد هذه الشعوب، وأن هذا يتحقق بفضل تجارتهم وتقدمهم وشجاعتهم ووعيهم بتفوقهم. ورغم ذلك كانت نظرتها للعربي كإنسان متوازنة لحد كبير مقارنة بآخرين من بني جلدتها مثل اللورد مارك سايكس. فقد وصف عرب الموصل ودمشقبأنهم فصحاء دهاة، ولكنهم ماكرون عصبيون وجبناء، وأيضاً حقراء كسالى ودمويون متغطرسون. أما هي فكانت ترى أن العربي لا يختلف كثيرا في طبيعته الإنسانية عن سائر البشر وإن اتسم بقدر من السذاجة والافتقار إلى العملية: "إن المشرقي مثله مثل طفل طاعن السن.. إنه ليس عملياً –حسب مفهومنا لمعنى هذه الكلمة– أكثر من طفل، وفكرته عن "الجدوى" ليست بفكرتنا. ولكن من جهة أخرى، تتفق أفعاله مع تقاليد سائرة وأخلاقيات تمتد إلى فجر الحضارة الإنسانية، وهي تقاليد لم تتبدل حتى الآن بفعل أي تغيير جوهري في شكل الحياة الذي ينتهجه والذي تكمن فيه أصوله.

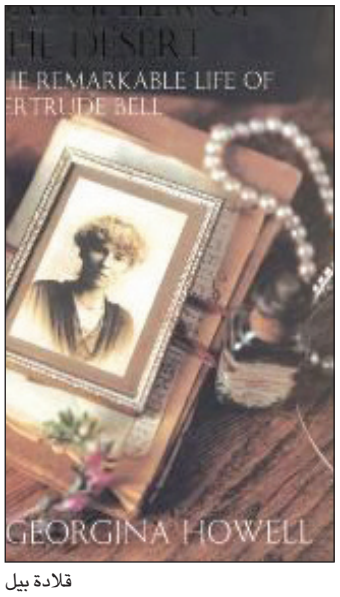

قلادة بيل

قبر بيل

طالبوا بحقوقهم الشرعية

عمال العراق في بداية القرن الماضي

د. هادي حسن عليوي

إن الطابع الاجتماعي للعراق هو الطابع القبلي فأغلب سكانه من القبائل (العشائر) التي احتفظت بعاداتها التقليدية، وكانت انتفاضات العشائر مستمرة سواء في العهد العثماني أم العهد الملكي سواء بسبب الضرائب أم بسبب تطبيق قانون الخدمة الإلزامي الذي طبق في العهد الملكي، ودخل عامل جديد هو استناد بعض القادة السياسي على العشائر فكانت بعض العشائر تتحرك وفق توجيهات هؤلاء السياسيين. من جانب آخر فأن صيانة مشاريع الري ووفرة الإنتاج الزراعي يتوقف على أن استقرار العشائر واحترام أعرافها، وما أصعب ذلك على الحكومات. أما سكان المدن فمنهم من اشتغل في التجارة، ومنهم من مارس الصناعة والحرف اليدوية لسد حاجة المواطنين البسيطة ومنهم من عمل في الدولة العراقية الحديثة.

البنية الاجتماعية للعراق

١. الإقطاع

تكون الاقطاع في العراق في ظل الحكم العثماني في مرحلته الثالثة (١٨٣١-١٩١٤) من ملتزمي الضرائب، الذين يجبون الخراج لخزينة الدولة ومنذ عام ١٨٦٩ بدأ تطبيق نظام الطابو، وهو من حيث الشكل ملكية خاصة لأفراد الطبقة الإقطاعية، وجرى تعزيز النظام الإقطاعي ضمن نظام اللزمة، الذي لا يختلف كثيرا نظام الطابو ولم يبق للدولة اي نصيب من الريع ولم تفرض اية ضريبة على الأرض أو الدخل الزراعي.

وهكذا بقي أكثر من ٩٠٪ من سكان الريف لا يملكون شبرا واحدا من الأرض، في حين أن اقل من ١٪ من سكان الريف يملكون ثلاثة أرباع أراضي العراق الزراعية.

٢. الفلاحون

بالرغم من أن الفلاحين يشكلون الغالبية العظمى من المجتمع العراقي وهم حوالي ٧٥٪ من مجموع السكان فهم لا يملكون الأرض ولا أي شيء ويتسم واقعهم بالجهل والتخلف والاستغلال الإقطاعي، والإهمال التام لقضاياهم وأحوالهم، كما أن النزعة العشائرية تطبع العلاقات الاجتماعية في عموم العراق وبشكل خاص ريفة وبالرغم من أن الزراعة تشكل ٤٥٪ من الإنتاج الوطني فأن الفلاحين لا يملكون سوى ١٣٪ من مجموع الدخل الوطني.

٣. العمال

كانت الطبقة العاملة في العراق حديثة النشأة وهي بالأساس من أصل فلاحي تكونت نتيجة هجرة الريف إلى المدن بسبب اوضاعهم المزرية. عاش العمال أوضاعا مزرية جدا بالرغم من صدور قانون العمل عام ١٩٣٦.

وتشكيل جمعيات عمالية منذ عام ١٩٢٩ وخاض العمال إضرابات كثيرة من اجل تحقيق الحد الأدنى من حقوقهم المشروعة.

٤. البرجوازية

ويمكن تصنيفها إلى فئتين:.

أ- البرجوازية الكبيرة: وهي البرجوازية الصناعية والتجارية التي نشأت منذ أواخر الحكم العثماني وظلت جنينية حتى الأربعينيات من القرن الماضي وبالتالي كانت عاجزة عن تنمية الاقتصاد الوطني، لذا اتجهت بصورة عامة نحو التجارة وامتلاك العقارات أكثر من اتجاهها نحو التصنيع والمشاريع الكبرى.

ب- البرجوازية الصغيرة:

شكلت الفئات ذات الحرف اليدوية وبعض أشكال العمل الحر والبيع بالمفرد البرجوازية الصغيرة التي لم تسمح ظروف العراق الاقتصادية في العهد الملكي في نموها وتطورها فظلت ضعيفة.

٥. النخبة

تتكون نخبة المجتمع من وجوه المجتمع وأعلامه ومثقفيه وضباطه ويبدو أنها كانت تتسم بنوع من التعليم والإدراك لواقع المجتمع بالرغم من اختلاف رأهم وتوجهاتهم وقد لعبوا دورا في حياة المجتمع ثقافيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

الوضع الاقتصادي

بلغ سكان العراق حسب إحصاء عام ١٩٥٧ ستة ملايين ونصف المليون نسمة، والأغلبية الساحقة من العرب إذ يؤلفون ٨٠٪ من مجموع السكان وعدد نفوسها (٥٠١٨، ٩٦٢) مليون نسمة موزعين في محافظات القطر الأربع عشرة، أما نفوس الكرد فبلغت (١٠٤٢٧٧٤) مليون نسمة موزعة غالبيتهم في المحافظات الشمالية وبلغ سكان التركمان(١٣٦٨٠٦) آلاف نسمة فيما بلغت الأطياف الأخرى من كلدان وسريان وغيرهم حوالي مئة ألف نسخة.

اتسم الوضع العام بانخفاض كبير بمستوى المعيشة الذي يحول دون تناول الحد الأدنى مما يحتاجه الجسم من الطعام، إضافة إلى قلة المستشفيات والمؤسسات الصحية التي كان عددها (١٠٤) مستشفيات ويبلغ عدد أسرتها حوالي (٦٥٠٠) سرير اي بمعدل سرير واحد لكل الف نسمة إضافة إلى تدني مستواها الصحي.

كان اقتصاد العراق في العهد الملكي يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة بأساليبها البدائية وعلى حصة العراق من نفطه كما كانت الصناعة شبه معدومة حيث كان الانتاج الصناعي حرفيا بسيطا وخاصة النسيج وبعض معامل السكائر ومنذ خمسينيات القرن الماضي بدأت بعض الصناعات الحديثة كالزيوت وبسبب هذا الوضع المتخلف كان مستوى التبادل التجاري مع العالم الخارجي منخفضا

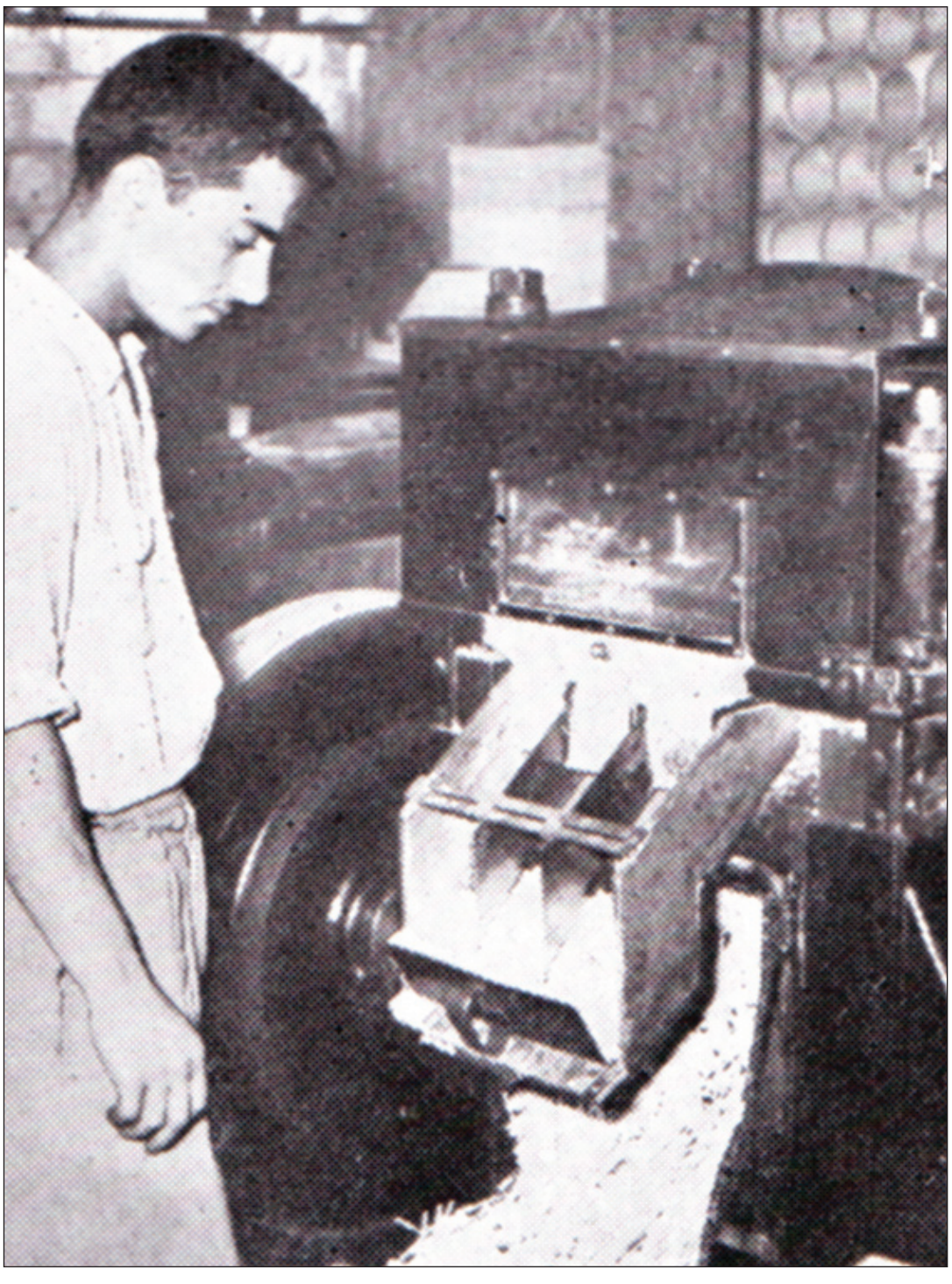

واتسم بالتلقائية (عدم التخطيط). وفي عام ١٩٣٠ مر العراق بأزمة اقتصادية خانقة، هي امتداد للأزمة الاقتصادية العالمية، وجاءت الحرب العالمية الثانية لتزيد الطين بلة، خاصة ان العراق كان تحت الاحتلال البريطاني وبالتالي وضع اقتصاده في خدمة بريطانيا في الحرب وبالتالي خرج من الحرب منهكاً فقد تركت تلك الحرب آثاراً واضحة على مجمل الوضع الاقتصادي في العراق أبرزها: تدهور الأوضاع الاقتصادية للبلاد نتيجة لاستمرار نفقات الدولة والتضخم المطرد الذي عم الاقتصاد وبتلاشي الوفر المتراكم وبتدهور أرباح التموين وهبوط حصيلة ضريبة الدخل وسوء المواسم الزراعية (خاصة في عام ١٩٤٧) ثم ازداد الوضع المالي سوءا بسبب انخفاض مدفوعات شركات النفط العاملة في العراق، وركود المعاملات التجارية ونقص البضائع بشكل كبير إضافة إلى ارتفاع الأسعار للبضائع ارتفاعا هائلا. فبالنسبة لتضخم النقد المتداول فقد اصيب العراق بتضخم نقدي خلال سنوات الحرب الست، وبفعل نفقات الحرب، التي احتاجتها القوات البريطانية والجيوش المتحالفة ارتفع موجود العراق النقدي من ستة ملايين دينار إلى واحد وأربعين مليونا أي نحو سبعة اضعاف ما ادى الى انخفاض كبير في سعر الدينار العراقي وأدى بالتالي الى تضخم كبير. اما الوضع التجاري فقد كان لظروف الحرب، التي أفضت الى تقييد معاملات التحويل الخارجي أسوأ الأثر في شحة البضائع المستوردة وارتفاع اسعارها ولم يتحسن الوضع بعد الحرب بل واجه العراق صعوبات جمة حينما قررت الحكومة البريطانية وقف تحويل الباون الاسترليني الى الدولار الاميركي بالسعر الرسمي، فأصبح العجز للميزان التجاري العراقي (١٨،٥) مليون دينار في سنة (١٩٤٧- ١٩٤٨) واستمر تعاظم العجز التجاري للاقتصاد الوطني حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بسبب ارتباط العراق بالمنطقة الاسترلينية اضافة الى ما تقدم فان العوامل التي اسهمت في تفاقم الازمة الاقتصادية هي:

١. ضعف القدرة الشرائية للافراد وحلول ازمة بطالة شديدة.

٢. ايقاف تنفيذ المشاريع الحكومية نتيجة للانفاق العسكري الذي فرضته الحرب العربية – الاسرائيلية ١٩٤٨.

٣. نزوح اليهود عن العراق والذين يقدر عددهم باكثر من (١٢) الف شخص يشتغل ٧٠٪ منهم في التجارة وقد ادى نزوحهم الى عرض اموالهم وعقاراتهم للبيع فانخفضت الاثمان وسحبوا اموالهم من سوق الائتمان الامر الذي ادى الى ضيق في السوق النقدي.

٤. ايقاف مرور النفط العراقي عبر الأنابيب المارة الى ميناء حيفا ما ادى الى انخفاض واردات العراق من النفط الخام الى النصف خلال سنتي ١٩٤٨و١٩٤٩ مما اضطره الى عقد قروض مالية لتغطية ذلك العجز.

الزراعة

وتردت الأوضاع الاقتصادية والمالية أكثر فأكثر في عام ١٩٤٧ حيث اخذت اسعار الحنطة والشعير بالارتفاع بسبب قلة الانتاج في ذلك العام من جهة واستمرار تصدير الانتاج من هذه المواد الى الخارج من جهة اخرى وهكذا ارتفعت اسعار هاتين المادتين الى اربعة اضعاف سعرها الاعتيادي على المواطن العراقي الذي لم يعد قادرا على شراء رغيف الخبز.

واذا علمنا ان الاقتصاد العراقي شأنه شأن اقتصاديات البلدان المتخلفة وحيد الجانب يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة وبالاساليب البدائية للزراعة، أضافة الى ان الانتاجية كانت منخفضة جدا وغياب التخطيط للسياسة الزراعية، وسيطرة عدد قليل جدا من الملاكين على الاراضي الزراعية فالعلاقات بين المالك والفلاحين في العراق كانت نوعاً من العلاقات الاقطاعية التي تصل الى درجة القنانة في العديد من المدن.

مما تقدم يبدو ان الواقع الاقتصادي والاجتماعي في العهد الملكي تميز ب:

١. التسيب وانعدام التخطيط وإطلاق العنان لحرية الاستغلال الداخلي والخارجي.

٢. التبعية الكاملة للاقتصاد الاستعماري البريطاني كما كان يبدو على الأخص في القطاع النفطي التمويلي والمصرفي والنقدي وقطاع التجارة الخارجية بجانبيها التصديري والاستيرادي وقطاع البناء والإنشاءات وفي السنوات الأخيرة في قطاع التنمية الاقتصادية اي في سياسة مجلس الإعمار التي كانت تهدف من حيث الجوهر الى تثبيت وتشديد التبعية الاقتصادية ليستمر العراق مجرد سوق لمنتجات بريطانيا والدول الأوروبية ورساميلها ومصدر لمواده الخام والغذائية والوقود الرخيص الثمن.

٣. اتسامه بجميع مظاهر التخلف وعدم التوازن في تركيب الهيكل الاقتصادي من غلبة للطابع الزراعي وتفاهة القطاع الصناعي وغلبة الطابع الاستهلاكي عليه، إلى اختلال الموازين الرئيسية للاقتصاد الوطني، كالميزان التجاري والميزان النقدي والميزانية المالية العامة، والى ضآلة الإنتاجية والإنتاج والدخل والاستثمار والاستخدام الى اختلال التوزيع اختلالا واسعا على حساب الجماهير والى استفحال البطالة بجميع أنواعها والتضخم والهجرة من الريف إلى المدن والى التهريب.

٤. سيادة العلاقات القبلية بشكلها البطرياركي (الأبوي) حيث كان زعيم القبيلة بمثابة الأب الروحي والزعيم السياسي للقبيلة، وقد اصبحت الغالبية العظمى من هؤلاء الزعماء أقطاعا وقد لعب تكوين القبيلة(البدوية) باعتبارها وحدة اقتصادية واجتماعية واحدة دورا كبيرا في استمرار هذه الظاهرة. وأدت تلك الظاهرة وسيطرة الاقطاع الى تفاقم الاستغلال الاجتماعي وبشكل خاص للفلاحين المعدمين الذين يشكلون أعلى نسبة من السكان.

٥. صغر حجم الطبقة العاملة من حيث العدد وتدني مستواها التعليمي وهذه الحقيقة تكتشف عندما نعلم أن ٨٠٪ من الرجال و٩٥٪ من النساء من عموم الشعب من غير المتعلمين.

٦. استفحال جميع مظاهر الاستغلال الاقتصادي والاحتكار والطفيلية في الاقتصاد الداخلي في جميع قطاعاته واتساع الهوة الاجتماعية بين طبقات المجتمع بشكل واسع وتدمير القوى الإنتاجية وتسابق الاستعمار والإقطاع وكبار المقاولين والبرجوازية التجارية العليا وحتى بعض فئات البرجوازية الصناعية المرتبطة بالاحتكارات الخارجية في استغلال جماهير الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الوطنيين ابشع استغلال إضافة إلى نزع ملكية الفلاحين للارض وتسليم ١١- ١٢٪ من اخصب الدولة أراضي الزراعية الى حفنة من الإقطاعيين تحت ستار التسوية والتفويض واللزمة الى جانب اشتداد مظاهر الطفيلية والفساد والرشوة في الجهاز الحكومي وتفشي البروقراطية واصبح الجهاز الحكومي في خدمة الاستعمار والإقطاع وقوى الاستغلال في البلاد. وفي عام ١٩٤٧ تعهد رئيس الوزراء صالح جبر امام مجلس النواب بوضع ميزانية مستقلة للأعمال الرئيسية التي تنفذ على مدى خمس سنوات إلا أن وزارته سقطت اثر توقيع معاهدة ١٩٤٨ مع بريطانيا (معاهدة بورتسموث) كما شهدت البلاد في عهده واحدة من أسوأ أزمات الخبز التي أثارت سخط الشعب ضد حكومته وضد بريطانيا. ويبدو مما تقدم انه حتى تأسيس مجلس الإعمار عام ١٩٥٠ لم يشهد العراق تبني سياسة اقتصادية واضحة المعالم من شأنها تطور البلاد في اطار الحد الادنى المطلوب، حتى ان بعض الجهات دعت الى اشراك الاحزاب والجمعيات في وضع ميزانيات الأعمال العمرانية باعتبار ذلك مهمة وطنية وقد أكدت الصحف العراقية على ضرورة الاهتمام بموضوع الاعمار والتطور الاقتصادي على وفق خطة إنشائية شاملة تلتزم الحكومات المتعاقبة بتنفيذها وتلافي الروتين، وان يكون التنظيم الاقتصادي موجها وبعيدا عن الجهاز الحكومي. وفي عام ١٩٤٧ طلبت الحكومة العراقية من البنك الدولي منحها قرضا لإقامة بعض المشاريع الضرورية وفي عام ١٩٤٩ زار وفد من البنك الدولي بغداد ودخل في مفاوضات مباشرة مع المسؤولين العراقيين بشأن القرض وتقدم البنك الدولي للحكومة العراقية بمشروع يستهدف انشاء مجلس مستقل يطلق عليه اسم مجلس الإعمار او مجلس إدارة الأعمال العمرانية وهكذا بدأت الخطوات لإنشاء هذا المجلس الذي صدر قانونه في ٢٧ آيار ١٩٥٠وجاء في مادته ان رئيس الوزراء هو رئيس مجلس الإعمار وعضوية وزير المالية وستة آخرين على أن يكون ثلاثة منهم من ذوي الاختصاص في الشؤون المالية والاقتصادية والري ويبدو من قراءة قانون مجلس الإعمار ان القانون حاول وضع نهاية لطابع الارتجال وعدم الاستقرار الذي طغى على السياسة العمرانية للحكومات العراقية المتعاقبة على مدى ثلاثة عقود من عمر الدولة العراقية وذلك بحصر المجلس الجديد في اقلية سياسية متغيرة تتألف من رئيس الوزراء ووزير المالية ومن اكثرية ثابتة يتوفر فيها الحد الأدنى المطلوب من عنصر الاختصاص.

اذا علمان ان الاقتصاد العراقي شأنه شأن اقتصاديات البلدان المتخلفة وحيد الجانب يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة وبالاساليب البدائية للزراعة، أضافة الى ان الانتاجية كانت منخفضة جدا وغياب التخطيط للسياسة الزراعية، وسيطرة عدد قليل جدا من الملاكين على الاراضي الزراعية فالعلاقات بين المالك والفلاحين في العراق كانت نوعاً من العلاقات الاقطاعية التي تصل الى درجة القنانة في العديد من المدن.

الكوليرا تتسبب باستقالة

وزارة نوري السعيد

جواد الرميثي

شددت الحكومة العراقية في الاربعينيات من القرن الماضي من اجراءاتها الصحية بعد ظهور اعراض بأصابات مرض الهيضة (الكوليرا) وتسرب الاخبار عن حدوث وفيات نتيجة ذلك المرض الخطير ، خاصة في البصرة ، وكانت اهم المنافذ التي تتوقع السلطات دخول المرض منها هي البحر والبواخر القادمة من الهند والتي قد تكون نقلت هذا الوباء القاتل ، لذا اصدرت الحكومة اوامرها بمراقبة الطرق الخارجية كافة ، البحرية منها والبرية ، وعدم السماح لاحد بدخول بغداد من دون ابراز وثيقة التطعيم ، وشددت على القادمين من ايران خاصة مناطق المحمرة وعبادان ، واصبح التطعيم داخل بغداد اجباريا ، وكل من لم يراجع للتطعيم من المستشفيات الحكومية فأنه يذهب الى عيادات الاطباء الخاصة ، واجور التطعيم كانت(ربية) واحدة ، فضلا على اربع حبات من اقراص (الكنين) مجانا ، وقد امتلا مستشفى العزل (الكرامة حاليا) في الكرخ بالناس الخائفين من مرض الكوليرا (ابو زوعة) لغرض الحصول على التطعيم وحبوب الكنين.

واستمرت الحملات الصحية من اواخر العشرينات حتى بداية الثلاثينات وايام الاضراب العام ضد قانون رسوم البلديات والقساوة التي اشتهر بها مزاحم الباجه جي وزير الداخلية انذاك وتوقيفه العمال ،خاصة اعضاء جمعية اصحاب الصنائع ،وقد طال هذا الاضراب وتوقفت الاعمال ، مما اظطر رئيس الوزراء نوري السعيد الى ان يعود الى بغداد قاطعا زيارته للعاصمة البريطانية لندن لغرض تلافي الازمة التي اشتدت بين وزير الداخلية الباجةجي واهالي بغداد ، وطلب من الباجةجي الاستقالة ، لكن الاخير رفض ذلك مما دفع بنوري السعيد الى الاستقالة من رئاسة الوزراء واخراج الباجةجي من وزارته ، وقد دفع ذلك مزاحم الباجة جي الى التحريض ضد نوري السعيد والملك فيصل في عملية (الرسائل السرية) والتي سيق المتهمون فيها الى المحكمة والحكم على الصحفي فاضل قاسم راجي بالحبس .

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير : علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون